الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب
قسم التاريخ

العلاقات التجارية الفينيقية المصرية في عهد الدولة المصرية الحديثة

رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ

إعداد الطالب
أنور رشاد الإبراهيم

إشراف
أ.د. محمود عبد الحميد الأحمد

دمشق ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م

المقدّمة

لقد أرسى إنسان الشرق الأدنى القديم أصول الحضارة الإنسانية في جميع مظاهرها, ونال شرف الأولوية التاريخية والحضارية عن بقية أجزاء العالم,وتعدّ بلاد الشام ومصر من أهم المناطق العربية بماضيها العريق, وحضارتها العظيمة, وموقعها الاستراتيجي, الذي جعل منها نقطة التقاء معظم حضارات العالم القديم . وتميّز من سكان الشرق الأدنى القديم الشعب الكنعاني الذي استقرّ على الساحل الشرقي للبحر المتوسط, وارتبط دورهم الحضاري بمنجزات حملها ملّاحوهم وتجّارهم, ومن عمل تحت لوائهم في أرجاء حوض البحر المتوسط .

وقد اشتهر الكنعانيون منذ بداية عهدهم بجرأة وإقدام بحّارتهم, ونشاط تجّارهم, وأقاموا الكثير من المدن في سورية, ووصلوا بسفنهم إلى كثيرٍ من أصقاع الأرض, فأقاموا الكثير من المحطات التجارية في غرب المتوسط, وكان أهمّها قرطاجة, ثمّ نشأ بينهم وبين الدول المجاورة لهم الكثير من العلاقات السياسة والاقتصادية, والعسكرية .

ولمّا كانت التجارة أهمّ وسيلة لنقل الحضارة من بلدٍ إلى آخر, فإنّها تصبح موضوعاً من أهمّ المواضيع التي يتحتّم دراستها في حياة الشعوب القديمة .

إنّ التبادل الفعلي للبضائع سواء أكانت مواد خام أم مصنوعات, يجعل البلدان يتصل بعضها ببعضها الآخر . وعندما تبدأ التجارة بين بلدين, فإنّه لا يمكن اعتبار تبادل البضائع المادية– مهما بلغت قيمتها – على أنّها المنفعة الوحيدة, ولكن للأشياء الروحية غير المادية والمنظورة تأثير أكبر من تبادل البضائع, حيث تؤثر بطريقة غير محسوسة على المظهر العقلي والروحي لكل بلد, وخاصة في مجالي الدين والعلم . ونظراً لأهمية التجارة الفينيقية ودورها في نشر الحضارة في العالم القديم, فقد

آثرت معالجة هذا الموضوع, وبذلت الكثير من الجهود لدراسة أهم العلاقات التجارية بين فينيقية ومصر في عهد الدولة المصرية الحديثة, وذلك بالاعتماد على الآثار المكتشفة في كل من المدن الفينيقية ومصر. لقد ركّزتُ على أهمّ الموارد المتبادلة بين الطرفين ومجال استخدام تلك الموارد, ثمّ انتقلت إلى الحديث عن أهمية هذه العلاقات التي تلعب دوراً هامّاً تطوّر الحضارات , والتأثير والتأثّر فيما بينها .

وقد بدأت فصول هذا البحث بدراسة عامة للتعريف بموقع كل من فينيقية ومصر,وجغرافيتهما وشعبهما, ثمّ بدأت بدراسة أهم العلاقات المصرية الفينيقية منذ عهد ما قبل الأُسر إلى نهاية الدولة المصرية الحديثة . وكذلك دراسة أهم المواد والسلع التجارية بين فينيقية ومصر, وفي النهاية انتقلت إلى الحديث عن علاقة التأثير والتأثُّر المتبادل بين كلٍّ من البلدين .

وبالتأكيد لن يكون هذا البحث نهاية المطاف في معرفة العلاقات التجارية بين فينيقيا ومصر ؛ لأنّ الاكتشافات مازالت تجلب لنا الكثير من المعلومات الجديدة عن تاريخ البلدين, وواجبنا أن نستلهم من هذا التاريخ بواعث لانطلاقات جديدة, وكما قال الخطيب الروماني المشهور شيشرون في القرن الأول قبل الميلاد : "**مَنْ لا يعرف التاريخ يبقى طفلاً أبد الدهر** " .

الفصل الأول

. دراسة جغرافية لفينيقيا .

. تسمية فينيقيا .

. جغرافية مصر .

. تسمية مصر .

. الطرق التجارية بين مصر وفينيقية .

. أهمية الساحل الفينيقي بالنسبة لمصر .

. أهم الممالك الفينيقية .

١ – دراسة جغرافية لفينيقيا :

الموقع :

تمتدّ فينيقيا على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط, وتتكوّن من أرض ضيقةٍ محصورة بين مصب نهر العاصي في خليج السويدية شمالاً ، ونهر بيلوس (النعيمين في فلسطين) جنوباً, ويحدّها من الشرق جبال اللاذقية, وسلسلة جبال لبنان الغربية. ونظراً لاقتراب الجبال من البحر في معظم المناطق, فقد كانت الأراضي الصالحة للزراعة محدودة لا تفي باحتياجات السكان, كما أنّ تقسيم الساحل طبيعياً من خلال نتوءات جبلية تصل إلى الساحل, جعل اتصال الفينيقيين بالداخل, وفيما بينهم صعباً, إلّا عن طريق البحر , ونتجَ عن هذا أن توجهوا إلى البحر[١]. (الشكل ١).لقد قامت على طول هذا الساحل ممالكٌ هامة كان لها دور في التاريخ السياسي والحضاري لسورية, ولعّل أهمها على سبيل المثال من الجنوب إلى الشمال (صور – صيدا – بيروت – أرواد أوغاريت)[٢]

أمّا فيما يخصّ الموطن الأصلي للفينيقيين, فقد اختلف فيه الباحثون والمؤرخون القدماء والمحدثون فيه, فمثلاً يرى المؤرّخ هيرودوت :[٣]

إنّ مكاناً ما على ساحل البحر الأحمر كان موطن الفينيقيين, وقد هاجروا إليه من جنوب الجزيرة العربية, ثمّ انطلقوا منه إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط في بداية الألف الثالث قبل الميلاد[٤]

ويرى (سترابون وبلينوس)[٥] أنّ موطنهم الأصلي هو دلمون [٦] (جزيرة البحرين) الواقع على ساحل الخليج العربي, حيث أثبتت نتائج أعمال التنقيب الأثري وجود

١-قابلو–جباغ , تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي , منشورات جامعة دمشق , ١٩٩٠ , ص ٢٣٥ .

٢- حامدة– أحمد , المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية دمشق ,١٩٩٤ , ص ٧ .

٣-هيرودت : مؤرخ يوناني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد يمتاز بدقة الملاحظة لم يفته تقييد ما سمعه في أقاصيص الشعوب التي طاف بأرجاء أوطانها وكتابة تاريخها .

٤- حامدة - أحمد , المرجع السابق , ص ٨ .

تشابه بين المقابر؛ التي عُثر عليها في جزيرة البحرين, وتلك التي عُثر عليها على الشاطئ الفينيقي, ويؤكّدان بأنّ الهجرة كانت عند منتصف الألف الثالث قبل الميلاد,حيث يقول سترابون : إنّ مقابر البحرين في الخليج العربي إنّما تتشابه مع مقابر الفينيقيين, وإنّ سكّان جزرالبحرين يذكرون أنّ أسماء جزرهم, إنّما هي أسماء فينيقية, وأنّ في مدنهم هياكل تشبه الهياكل الفينيقية [٧]ومن جزرهم (أرادوس–وتايلوس)

ولكن(فيلون الجبيلي)[٨] يختلف معهم حيث يقول : " إنّ الفينيقيين لم يهاجروا من أيّة منطقة [٩], بل أنّ أصلهم من مدينة جبيل نفسها واستقروا فيها منذ أقدم العصور"

وفيما يتعلق برأي المؤرخين المحدثين عن أصل الفينيقيين يتفق الدكتور عيد مرعي في رأيه عن أصل الفينيقيين مع رأي فيلون الجبيلي حيث يقول: " إنّ المكتشفات الأثرية في المدن الفينيقية وغيرها, لا تشير إلى أيّة هجرة محتملة ذلك أنّ فينيقيا كانت مأهولة بالسكّان منذ عصور ما قبل التاريخ, وأنّ الحضارة التي نشأت في هذه المنطقة ؛ هي حضارة أبدعها شعبٌ مستقرٌّ محلّي ولم ينتج عن هجرة جماعات جاءت من مناطق أخرى . [١٠]

٢– تسمية فينيقيا:

٥- سترابون : خغرافي إغريقي , عاش بين (٦٣–٢١–ق م) , بلينيوس : كاتب روماني عاش بين (٢٣– ٧٩ م) كتب كتاب التاريخ الطبيعي , و تحدث فيه عن عالم الجغرافية.

٦–دلمون : هو الاسم القديم لجزيرة البحرين , جاء ذكرها في الكتابات المسمارية القديمة التي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد في بلاد الرافدين , وقد وصفت بأرض الخلود , وتقع حيث تشرق الشمس .

٧– مهران – محمد بيّومي , المدن الفينيقية , تاريخ لبنان القديم , بيروت , ١٩٩٤ , ص ١٢٣ .

٨-فيلون الجبيلي : مفكر فينيقي الأصل عاش في العصر الروماني (٦٤ – ١٤١) م .

. Moscati,s., the world of the Phoenicians, New York , . P.59

١٠-مرعي –عيد , تاريخ سورية القديم (٣٠٠ – ٣٣٣ ق.م) الهيئة العامة للكتاب , دمشق , ٢٠١٠ , ص١٩٢

أطلق الفينيقيون على موطنهم اسم كنعان [١١] ؛ وهي كلمة لم يتفق عليهاالباحثون في معناها بعد، واسمها في الفينيقية (كينع أو كنعان), وقد جاء معناها في النقوش الأكادية, أنّها أُطلقت على البلد, بينما أُطلق اسم الكنعانيين على الشعب. وقدظهر هذا الاسم لأوّل مرّة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد في أحد النقوش الأكادية على تمثال "ادريمي ملك ألالاخ".والتي تؤكّد بأنّه ارتبط بعلاقات تجارية مع مدن ومناطق سورية مختلفة, وخاصةً أوغاريت .وكذلك جاء في نقش للملك المصري أحمس الأول (١٥٧٥- ١٥٥٠ ق. م), ما يلي : " الحجر مسحوب بماشية ممّن استولى عليه جلالته في أراضي الفنخو"[١٢] . بينما يرى الدكتور حسين فهد حماد أنّ اسم الكنعانيين مأخوذ من الكلمة العربية القديمة ذات الجذر (كينع) ؛ والتي تعني " الأرض الوطيئة ", إشارةً إلى أنّ موطنهم كان على الساحل, واسم بلاد كنعان كان يُطلق في أول الأمر على الساحل السوري, والقسم الغربي من فلسطين, ولكنّه جاء بعد ذلك ليشمل قسماً كبيراً من سورية وفلسطين . وهناك إشارات عديدة في مواضع كثيرة من بلاد الشام تشير إلى قدم استيطان الكنعانيين في هذا الجزء من الوطن العربي, فأسماء المدن تشير إلى أصلها الكنعاني(غزّة : تعني القوة, يريحو: مدينة القمر, عكو: تعني الرمال الحارة, بيروتا : تعني بئر) [١٣].

وهناك مَنْ يرى أنّ أصل كلمة كنعان, إنّما هو مشتق من كلمة حورية [١٤]، وهي "كناجي " وتعني الصباغة القرمزية التي اشتهروا بها.[١٥]

---

[١١]- حامدة – أحمد – (الملك والأسرة المالكة في فينيقيا) , مجلّة دراسات تاريخية , العددان : ٤٩ – ٥٠ , آذار – حزيران , دمشق , ١٩٩٤ , ص ١٢٩ .

[١٢]- الفنخو : تسمية أطلقها المصريون على الكنعانيين .

[١٣]- حماد – حسين فهد , موسوعة الآثار التاريخية , دار أسامة , الأردن , ٢٠٠٣ , ص ٥٢٨ .

[١٤]- الشعب الحوري : هم شعوب هندوأوربية , استقرّوا في سوريا في الألف الثاني ق.م , و أسّسوا مع الميتانيين الدّولة الحورية الميتانية في القرن السادس عشر ق.م وعاصمتها واشوكاني (رأس العين حالياً) .

[١٥]- سليم – أحمد أمين , تاريخ المشرق الأدنى القديم , مصر وسوريا , بيروت , ص ٢٨٢ .

وأمّا عن تسميتهم بالفينيقيين, فإنّ أوّل مَن أطلق عليهم هذا الاسم, هم الإغريق نسبة إلى كلمة فونيكس(phainikes) في القرن الثالث عشر قبل الميلاد, وهي كلمة إغريقية تعني "الصباغ الأرجواني", الذي اشتهر الكنعانيون بتحضيره من الأصداف البحرية. ومن هنا أطلق الإغريق هذه الكلمة على مَن تاجر معهم من الكنعانيين, فأصبحت كلمة الفينيقيين مرادف لكلمة الكنعانيين منذ نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد.[١٦]والذي يؤكد بأنّ الإغريق أطلقوا اسم الفينيقيين على كنعاني الساحل الشرقي – الذين تعاملوا معهم – هو ذكر الشاعر الإغريقي "هوميروس" لهم في أسطورتيه الإلياذة والأوديسة نحو القرن العاشر قبل الميلاد .

أو قد تكون الكلمة الإغريقية فونيكي"phainike" أساساً هي ترجمةٌ لكلمة محلية (سورية). وكذلك ورد اسمهم في وثائق ومستندات وكتابات الدولة المصرية القديمة باسم (فنخو) ؛ لتدلّ على شعب كان يسكن في أحد الأقاليم السورية تحديداً الساحل السوري .

وأطلقت عليهم تسمية أخرى وهي " الصيداويون" نسبة إلى مملكة صيدا إحدى أشهر ممالكهم في القرن الثاني عشر قبل الميلاد, حيث وجدت هذه التسمية عند الشاعر الإغريقي "هوميروس"(القرن العاشر ق.م) [١٧], ويعتقد أنّ تسمية (صيداويين) بمعناها الدال على فينيقيا يعود إلى حقبة كانت فيها صيدا مسيطرة في المنطقة, وكانت المدن الفينيقية الأخرى تابعة لها في (القرن الثاني عشر ق.م) .

وفيما يتعلق بظهور الفينيقيين, فقد بدأ الظهور الفاعل لهم مع نهاية الألف الثاني قبل الميلاد [١٨] . أمّا الفترة الأقدم, فمعلوماتنا عنها قليلة, وهي خاصة بمناطق محدودة

---

[١٦]– مرعي – عيد , التاريخ القديم , مطبعة الاتحاد , دمشق ١٩٩٠ , ص ١٤٥ .

[١٧]مرعي – عيد , تاريخ سورية القديم (٣٠٠٠–٣٣٣ ق.م) , الهيئة العامة السورية للكتاب , دمشق ٢٠١٠ , ص ١٩١ .

[١٨]– حامدة – أحمد , مجلّد دراسات تاريخية (الملك والأسرة المالكة في فينيقيا) , العددان : ٤٩ – ٥٠ , آذار – حزيران , دمشق , ١٩٩٤ , ص ١٣١ .

ولفترات متقطّعة, كما يظهر ذلك من خلال رسائل تل العمارنة [١٩] واكتشافات جبيل. ويمكن تقسيم تاريخهم ما بين٣٠٠٠ ق .م إلى عام ١٢٠٠ق .م إلى أربع مراحل:[٢٠]

١-المرحلة الأولى :

وتبدأ من ٣٠٠٠ ق. م وحتى دخول الهكسوس إلى مصر في القرن الثامن عشر ق.م وقامت في هذه الفترة بين المدن الفينيقية ومصر اتصالات نشيطة تدل عليها النقوش التي اكتشفت في مصر,(حجر بالرمو).

٢-المرحلة الثانية:

بدأت مع خضوع مصر للهكسوس منذ ١٧٣٠ ق.م, وحتى بداية القرن السادس عشر ١٥٧٥ ق.م. إلى انتهاء سيطرة الهكسوس على مصر .

٣-المرحلة الثالثة:

بدأت مع بداية المملكة المصرية الحديثة ١٥٧٥ ق .م . واستمرت إلى نحو عام١٤٠٠ق .م وعاد من خلالها النفوذ المصري إلى المدن الفينيقية .

٤-المرحلة الرابعة:

بدأت هذه الفترة مع بداية حكم أمنحوتب الثالث(١٤٠٥- ١٣٧٥) ق . م, واستمرّ إلى نهاية المملكة المصرية الحديثة إلى نحو عام (١٠٨٧ ق . م).

---

[١٩]- تل العمارنة : هي بقايا مدينة أخت أتون التي أسّسها الفرعون المصري أمنحوتب الرابع (اخناتون) في القرن الرابع عشر قبل الميلاد , وتبعد ٥٨ ميلاً جنوب أسيوط , و١٩ ميلاً جنوب القاهرة , وتشمل السجلات الملكية , ومن بينها الرسائل المرسلة إخناتون

[٢٠] - حامدة – أحمد , المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية , ص ٨ -٩ .

والمعروف عن الفينيقيين أنّهم أبدعوا الأبجدية, واشتهروا بالملاحة البحرية وكانوا من أفضل الملاحين البحريين في العالم القديم, واستطاعوا إنشاء العديد من المحطات التجارية في المناطق التي وصلوا إليها [٢١].

٣- جغرافية مصر :

[٢١] حامدة – أحمد , (الملك والأسرة المالكة في فينيقيا) , مجلة دراسات تاريخية , ص ١٣٠ .

تقع مصر في الجزء الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا, وتقدّر مساحتها في العصر الحاضر بنحو ٩٩٥ ألف كم٢, وتقسم إلى ثلاثة أقسام هي النيل والدلتا والصحراء (الصحراء الغربية والشرقية) . (الشكل ٢)

ودائماً مصر انتمت حضارياً إلى عالم البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى, وهي واقعة عند أحد طرفي الهلال الخصيب ذلك الحزام المتصل تقريباً من المناطق الخصبة التي تكوّن قوساً من المجتمعات المستقرة التي تمتد من مصر عبر فلسطين ثم سورية إلى أراضي نهر الفرات ودجلة [٢٢] .

وتدين مصر بخصوبتها ونشوء الحضارة فيها إلى نهر النيل الذي يعبرها من الجنوب إلى الشمال حيث يصب في البحر المتوسط.

ويعدُّ النيل الشريان الرئيس للحياة في مصر وبدونه مصر صحراء قاحلة بلا شكّ, وقد أدّى النيل إلى تكوين السهول الزراعية, ونشوء العديد من القرى, واستفاد منه المصريون في التقويم السنوي والزراعي, وساعدهم على إبداع المقاييس الهندسية.[٢٣]

وقد وصف هيرودوت مصر بأنّها "هبة النيل", وأشار إلى دور النهر في حياة المصريين, فقد أُستخدم للربط مع المناطق الأخرى, فعبْر النهر كانت تتم الاتصالات مع البلاد الواقعة إلى الجنوب في قلب أفريقيا, ومن خلاله كانت مصر تتصل بشواطئ البحر الأبيض المتوسط, ثم بالجزر الواقعة فيه, مثل: (كريت) وعن طريق هذا النهر كانت تنقل المنتجات والمواد إلى المناطق باتجاه الشرق أي باتجاه البحر الأحمر كطرق برّية, ثم المتابعة بحراً إلى شبه الجزيرة العربية أو إلى شبه جزيرة

---

[٢٢]– حماد – حسين فهد , المرجع السابق – ص ٥٧٥ .

[٢٣] - أحمد – محمود عبدالحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , دمشق , ١٩٩٤ , ص ٧ .

سيناء. ويمكن الوصول من هذه الشواطئ إلى مضيق باب المندب, ومن ثمّ إلى بلاد البونت (الصومال حالياً) . [٢٤]

وإضافة إلى نهر النيل, فقد مكّن البحر المتوسط مصر أيضاً من الاتصال بالعالم الخارجي, فقامت بينها وبين المدن السورية وخاصة "جبيل" علاقات تجارية وثيقة, وكذلك ارتبطت من خلال البحر بعلاقات مع أكثر من جزيرة, مثل: كريت, وقبرص, واليونان .[٢٥]

٤- تسمية مصر:

[٢٤]- قابلوا – جباغ , المرجع السابق , ص ٢٧٥ .

[٢٥]- مرعي – عيد , التاريخ القديم , ص١٦٧.

هناك مصدران رئيسان للتعرّف على تسمية مصر بهذا الاسم: الأول النصوص المصرية, والثاني النصوص السورية والرافدين.

وفيما يتعلق بالمصدر الأول, فقد أطلق المصريون القدماء أسماء وصفات تدل على مصر القديمة, وقد استوحوها من لون تربتها أو من ارتباطها بألقاب الفراعنة أو النيل والفيضان والزراعة . [٢٦] ولذلك سمّى المصريون بلدهم اسم كمت (KMT) نسبةً إلى لون تربتها السوداء؛ لأنّ "كمت" تعني التربة السوداء باللغة المصرية القديمة . [٢٧]

أما فيما يتعلق بربط اسم مصر بألقاب الفراعنة للدلالة عليها, فقد أشير إلى أنّ الفرعون كونه ملك الأرضين, لكن هذه الصفة تخصّ الفرعون أكثر مما تخصّ مصر . أمّا ارتباط تسمية مصر بالنيل والزراعة والفيضان, فقد ذكرت بأنّها أرض الفلاحة وأرض الحياض, وأطلق أدباء مصر صفات جميلة على بلدهم مثل (عين رب الشمس) وهي العين السليمة . [٢٨]

وفيما يتعلق بالمصدر الثاني المتعلق بتسمية مصر, تذكر النصوص السورية بأنّ اسم مصر ذكر لأول مرة في رسالة أرسلها حاكم جبيل " رب عدي" إلى إخناتون (امنحوتب الرابع ١٣٦٧ ١٣٥٠ق م), وقد جاء في نص الرسالة (١٢٦) أنّه سيبعث بأهله إلى (ماتو مصري) . [٢٩]

وأطلق الميتانيون [٣٠] على مصر في رسالة موجهة إلى أحد الفراعنة في الدولة المصرية الحديثة اسم (مَشرِي أو مِصرِي) وأطلق عليها الفينيقيون اسم مصر أو مصرم . [٣١]

---

[٢٦]– أحمد –محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , دار الكتاب , دمشق ١٩٩٤ , ص ٥ .

[٢٧]- Gardiner.A,Egyptian Grammer ,OXFord.1969. P. 597

[٢٨]– أحمد – محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , دمشق , ١٩٩٤ , ص ٦ .

[٢٩]– ماتو : كلمة أكدية تعني الأرض , أي أرسل أهله إلى أرض مصر .

[٣٠]– الميتانيون : من الشعوب الهندوأوربية , الذين استقرّوا في سورية في الألف الثاني قبل الميلاد .

أما الإغريق, فقد أطلقوا على مصر تسمية إغريقية (Aigyptos) إيجيبتوس والتي تعني اللون الداكن [٣٢] باللغة الإغريقية.

وأطلقت النصوص الرافدية على مصر اسم مُصرٌ أو مِصِر . أمّا العرب, فقد سموها مِصرْ وهذا في القرآن الكريم . [٣٣]

٥- الطرق التجارية بين مصر وفينيقيا:

١- الطرق البحرية:

---

[٣١]- أحمد – محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ٦ .

[٣٢]- قابلوا –جباغ , تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي , ص ٢٧٧ .

[٣٣]- أحمد – محمود عبد الحميد , المرجع السابق , ص ٦ .

في بداية عصر الحديد نحو (١٢٠٠ ق.م), نمت على أيدي الفينيقيين شبكة من الطرق الملاحية بين موانئ البحر المتوسط . وكان أحد هذه الخطوط يربط بين المدن الفينيقية في شرقي البحر المتوسط, وبين محطاتهم التجارية في غربه, أو بعبارة أخرى بين مراكز الصناعة من ناحية, وبين مراكز المواد الخام التي تغذيها من ناحية أخرى, وكان هذا الطريق فينيقياً صرفاً, يربط بين المدن الفينيقية بصفة خاصة, وبين محطاتهم في إسبانيا . [٣٤]

وكانت أقدم طرقهم البحرية الدولية تربط جبيل وسائر الموانئ المصرية بمصر, ثم أصبحت الطرق الرئيسة تبدأ من صيدا وصور, فتصل إلى مصر أو تتجه شمالاً إلى قبرص وغرباً إلى كيليكيا تحت جبال طوروس, ثم إلى جنوبي رودس فكريت وجزيرة كورسيرا [٣٥] حتى صقلية ومنها بطريق جزيرة كوسترا إلى مستعمراتهم في شمال إسبانيا . [٣٦] (الشكل ٣) وقد كان الفينيقيون يحتكرون هذا الطريق لأنّ السفن كانت تبقى في محطاتهم فترة طويلة .

هذا هو الطريق الملاحي الكبير من شرقي المتوسط إلى غربه, وقد استمرّ هذا الطريق تسلكه السفن الشراعية, والتي لا تبعد كثيراً عن سواحل البحر ، وكانت السفن الفينيقية تقوم بنقل السلع (القمح) مثلاً, من مصر إلى رودوس وجزر بحر إيجة بصفة خاصة . لهذا كان الطريق الملاحي من مصر إلى صور أو صيدا, ثمّ إلى جزيرة رودوس, ويتفرع من رودوس طريق ملاحي ينتقل بين جزر بحر إيجه حتى موقع طروادة,حيث تنقل التجارة عبر الدردنيل والبوسفور إلى المستعمرات الإغريقية في حوض البحر الأسود. وعلى الرغم من صعوبة الملاحة في هذا البحر, ومن وعورة عبور المضايق إلا أن هذا الطريق كان يعود بكثير من السلع الهامة والثمينة,

---

[٣٤]– غلاب – محمد السيد , الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافية والتاريخ , دار العلم , بيروت , ١٩٦٩ , ص ٤٥٠ .

[٣٥]–كورسيرا : في جزيرة بنتلاريا الحديثة والمعروفة عند الجغرافيين العرب باسم قوصرة .

[٣٦]– غلاب– محمد السيد , المرجع السابق , ص ٤٥١ .

التي كان الفينيقيون يشتغلون بالتجارة فيها, مثل : الكهرمان, والمسك, والشمع, والزيوت الخشبية, والأخشاب, وغيرها من محاصيل الغابات.[٣٧]

وكان لزاماً على البحّار المصري الذي يسلك هذا الطريق أن يختار الوقت المناسب, فيتجه إلى جبيل (بيبيلوس), أو غيرها من موانئ الساحل الفينيقي في أوقات محدّدة من السنة؛ (شهري أيار وحزيران), حيث كانت تساعده الرياح الجنوبية أو الجنوبية الغربية, فيصل إلى جبيل في أربعة أيام في مسافة ٥٥٠ميلاً. أمّا رحلة العودة فكانت صعبة ؛ لأنّ الرياح لم تكن غالباً ملائمة, ولذلك كانوا يعتمدون على المجاذيف, وكانت رحلة العودة تستغرق ضعف مدة الذهاب . [٣٨]

٢- الطرق البرية:

يحتل الساحل الفينيقي موقعاً ممتازاً بين مركزين كبيرين من مراكز الحضارة القديمة: هما مصر الفرعونية, وبلاد الرافدين, ولذلك كان صلة الوصل بينهما هذا من ناحية, ومن ناحية أخرى فإنّ هذا الساحل يقترب في جزئه الشمالي اقتراباً كبيراً من مجرى الفرات الأعلى, فلا يكاد يفصل بين البحر المتوسط, وهذا الطريق المائي المتجه نحو الجنوب الشرقي سوى شقة ضيقة من اليابسة لا يزيد طولها عن ١٥٠ كم .

---

[٣٧] - غلاب – محمد السيد , الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافية والتاريخ , دار العلم , بيروت , ص ٤٥١ .

[٣٨]– زايد – عبد الحميد , العلاقات بين مصر وبيبلوس من خلال الآثار الفرعونية , مجلة كلية الآداب بجامعة الكويت – العدد ٦ ١٩٧٤ , ص ١١١, ١١٢ .

أما بالنسبة إلى الطريق البري بين فينيقية ومصر, فإنّه يبدأ من الدلتا في مصر ويتجه نحو حدودها الشمالية الشرقية موازياً للساحل حتى مدينة العريش [٣٩] الحالية .

ولهذا كانت قاعدة حربية مصرية قديمة, ومرفأ من مرافئ الصحراء, وعرفها التجّار الفينيقيون منذ القرن الرابع عشر ق . م . [٤٠]

وكانت القوافل البرّية تتبع الطريق الدولي الذي كان يبدأ من دلتا النيل, ويسير على محاذاة الشاطئ إلى سيناء, حيث كان يتشعّب منها طريق يتجه جنوباً إلى معادن النحاس, ومقالع الفيروز وعلى مسافةٍ قصيرة شرقاً, كان يتشعّب منه طريق آخر إلى بلاد البخور في جنوب الجزيرة العربية, ويستمرّ الطريق شمالاً على محاذاة الشاطئ الفلسطيني إلى جنوب لبنان, وكان هذا الطريق يتشعّب إلى طريقين رئيسين, أحدهما يستمرّ على محاذاة الشاطئ شمالاً مارّاً بصور, وصيدا, وجبيل ومدن ساحلية أخرى, والثاني ينحرف جنوباً في وادي مجرى نهر الليطاني إلى البقاع, ومن البقاع إلى دمشق, وكانت شعبتا هذا الطريق ؛ الطريق الساحلية, وطريق سهل البقاع, ويلتقيان شمالاً في قادش (قرب بحيرة حمص) بطريق وادي النهر الكبير, وفي شمال سوريا يتشعّب هذا الطريق الدولي الرئيس مرّة أخرى, فإنّ فرعاً منه يمرّ في مضائق كيليكية إلى آسيا الصغرى, وفرعاً آخر ينحرف شرقاً نحو الفرات, ثمّ جنوباً إلى رأس الخليج العربي, وهكذا نجد إنّ طريقاً دولياً رئيساً كان يربط بين جميع المراكز الحضارية في العالم القديم .[٤١]

---

[٣٩]– العريش : مدينة مصرية تقع على حدودها الشمالية الشرقية وكانت معسكراً للقوات المصرية , التي تحرس الحدود الشرقية , وهي أول محطة للقوافل التي تعبر صحراء سيناء من الغرب .

[٤٠]-Petrie.W.M.F.Ancient Ghaza,Vol.1, London ,1931, P.112

[٤١]– الخطيب – محمد , الحضارة الفينيقية , دار علاء الدين , ط ١ , سوريا , ٢٠٠٦ , ص ٣٩ .

٦- أهمية الساحل الفينيقي:

١- الأهمية الأمنية:

يُعدّ الساحل الفينيقي البوابة الأمنية لمصر نظراً لموقعه الاستراتيجي, الذي يربط البلدين بسواحل البحر المتوسط وبطرق تجارية عسكرية براً وبحراً ، وأنّ البعد

الاستراتيجي – العسكري ما هو إلّا بُعْدٌ وحدوي ؛ حيث تُعدّ سورية الحصن والقلعة القائمة على المقدّمة المصرية . وتعدّ مصر في كل العصور القديمة والوسطى والحديثة عمق سورية .

ومن يقرأ التاريخ موضوعياً, يستنتج أنّ هذه البلاد بلادٌ واحدة بلا فواصل ديموغرافية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو دينية بينها، وإن تكن هناك فواصل طبيعية فهي لا تقف عائقاً في وجه الوحدة بين سورية ومصر, ولهذا عدّت مصر الساحل الفينيقي هو المورد الأول لتأمين المواد الأولية التجارية والصناعية من أجل تنمية الاقتصاد المصري حيث لعب المصريون دوراً رئيساً في الحفاظ على الأمن ؛ لتأمين المواصلات عبر البلاد الكنعانية, فقد كان كل ملوك الدويلات الفينيقية مسؤولين عن سلامة مرور القوافل على أراضيهم ، لهذا كان الساحل الفينيقي هو مؤشر أمني لمصر حيث كانت القوة المصرية في أوج قوتها استطاعت أن تقبض وبقوة على زمام التوازن الدولي في الساحل وردّ كل طرف مهاجم وطامع في خيرات سورية. وبذلك تصبح سيطرتها أكثر قوة واتزاناً تحافظ عليها مدة أطول من خلال متابعة الأعمال العسكرية لتضمن مصر سلامة حدودها من محاولات الممالك السورية المتكررة للتخلّص من الهيمنة المصرية, والتي تتقلص وقت ازدياد الهيمنة المصرية وتزداد وقت ضعف تلك الهيمنة.

وكان الدافع الأكبر الذي تسعى وراءه مصر للسيطرة على البوابة الشرقية, هو من أجل الحفاظ على أمنها واستمرارية وجود الحملات العسكرية في الشرق, وذلك تلبيةً لرغبات الكهنة والضباط المصريين الذين لا يستغنون عن أرزاق وأتاوات الساحل الفينيقي التي تُعدّ مصدراً مهمّاً لزيادة رزقهم ونماء ثرواتهم الفاحشة من كثرة الهدايا والعطايا التي تتدفّق إلى معابدهم ممّا ازدادوا طمعاً وجوراً دفعهم إلى العبث بأقوات السكان وسلبها.

وأخيراً لا تغفل المملكة المصرية عن حقيقة مفادها أنّ الحفاظ على علاقاتها مع سورية كان السبب في قدرتها على الوقوف في وجه العدوان الميتاني والحثّي .

٢- الأهمية الاقتصادية:

اتسمت العلاقات بين مصر وبلاد فينيقيا بالطابع السلمي بالدرجة الأولى نتيجة الدافع الاقتصادي والتجاري بحثاً عن الموارد الأولية اللازمة للصناعات المصرية المختلفة وجلبها من مواقعها الأصلية على الساحل مثل صور وصيدا وجبيل, ولهذا سعت مصر بفرض سيطرتها على جميع المدن الفينيقية من أجل فتح أسواقٍ تجارية

جديدة لتصريف بضائعها مقابل ما يلزمها في تطوير التقنية الصناعية المصرية ؛ لرفع جودتها وتصريفها في جميع الأسواق عن طريق الحملات التجارية التي ارتادت عدة طرق تجارية التي أتينا على ذكرها سابقاً.

وكانت الأخشاب أهم المواد التي تسعى إليها مصر, والموجودة بكثرة على السواحل وسفوح الجبال, والصالحة للصناعة المصرية الراقية ؛ والتي كانت تستخدم في بناء القصور وقبور الملوك وحاشية البلاط الملكي؛ لأنّ الأخشاب الفينيقية كانت موضع إعجاب لدى الملوك المصريين, فسعى الكثير منهم إلى جلب أكبر قدر ممكن من أجل بناء أعظم الأوابد العمرانية, والتي ما زالت إلى الآن تشهد على عظمتها وحُسن بنائها ،ولا يفوتنا أنّ فقدان الطبيعة المصرية الأخشاب الجيدة دفعتها للبحث عنها؛ لأنّ قوامها إمّا خشن أو جاف أو ملتوٍ ، لا يصلح لصناعة السفن الكبيرة والسقوف العالية . [٤٢]

وتعود أهمية الأرز الفينيقي اقتصادياً إلى وفرة وجوده على شكل أشجار غابية وإلى صفاته الممتازة ذات اللون المائل إلى الاحمرار, وطيب الشذا وذي صلابة وديمومة بالإضافة إلى نواتجه الفرعية مثل الصمغ, وزيت الأرز, الذي يمكن الحصول عليه عن طريق التقطير.

لم تكن غابات الأرز حكراً على صيدا وصور وجبيل بل انتشرت في جبال سورية وآسيا الصغرى إلّا أنّ الخشب الجبيلي, قد امتاز بخصوصية عند التجار المصريين الذين حرصوا على جعله المادة الأولية في تجارتهم وذلك لقرب الساحل الفينيقي من الساحل المصري. وتعوّد التجّار على استخدام طرقه, وكذلك عجز موارد مصر عن تغطية حاجاتها المتزايدة إلى الخشب وقابلية أخشاب مصر القديمة للاستعمال

[٤٢]– الخطيب – محمد , مصر أيام الفراعنة , دار العلاء , دمشق , ٢٠٠١ – ص ١٣٣ .

المحدد, بسبب النتوءات في جذوعها وحب المصريين الشديد للأخشاب الفينيقية حتى أصبحوا يتفاخرون بامتلاكها .[٤٣]

واتسعت القاعدة التجارية المصرية مع الساحل الفينيقي, حيث لم تكتفِ بالأخشاب بل حصلت على واردات ضرورية, مثل زيت الزيتون المستخدم في الغذاء والصناعة, فكانت تأتي في الجرار المملوءة بالزيت من فلسطين وجنوب سورية التي تعد أغنى المناطق في زراعة الزيتون, الذي لا ينبت في أرض مصر ولذلك وضعت مصر فينيقيا تحت الرقابة العسكرية دوماً, وكانوا يتبادلون الزيوت بالذهب والقمح والكتان وورق البردي, حيث كان زيت الزيتون يرسل كهدايا ملكية إلى الملوك والآلهة . إضافة إلى ذلك فقد استوردت مصر الراتنجات[٤٤] التي عُثر على عينات منها في المعابد الملكية.[٤٥]

٧- أهم الممالك الفينيقية :

قبل أن نستعرض أهم الآثار والوثائق؛ التي تدل على العلاقات التجارية بين أهم المدن الفينيقية ومصر خلال تاريخها الطويل, لابد أن نأتي على ذكر أهم هذه المدن منذ نشأتها ومواقعها وتسمياتها القديمة, وهي من الشمال إلى الجنوب . (الشكل ٤)

---

[٤٣]- جميز . ت . ج : الحياة أيام الفراعنة , ت : أحمد زهير أمين , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , ص ٥٧ .

[٤٤]-الراتنج : مادة تفرزها الأشجار المخروطية مثل الصنوبر واستخدمه المصريون في عمليات التحنيط .

[٤٥]- جميز . ت . ج : الحياة أيام الفراعنة , المرجع السابق , ص ٥٩ .

١- مملكة أوغاريت:

ظهر اسمها في عهد الملك المصري امنحوتب الثاني ١٤٢٧- ١٤٠١ ق.م. باسم ik3-ti–ومنه اشتق الاسم المصري لها I-K-ri - ti (أجرت) ويعني (العقار) ، والاسم يحمل الجذر حرث الحرث حيث الحرث هو الحقل المحروث ، وهناك من يرى أن اسم أوغاريت قد يكون قريباً من حيث المعنى إلى الأكادية ygaru (جدار المدينة) أي (القلعة المحاطة بجدار). [٤٦]

وكانت أوغاريت في القرون الخامس عشر, والرابع عشر, والثالث عشر ، عاصمة مملكة تشغل تقريباً نفس البقعة التي تتألف منها حالياً محافظة اللاذقية فكانت مساحتها نحو ٢٠٠٠ كم٢ ، يحدها من الشمال الجبل الأقرع ومن الجنوب نهر السن ومن الشرق سلسلة الجبال الساحلية.

وتعد أوغاريت أهم مركز حضاري في سورية الكنعانية في الألف الثاني ق. م ,

حيث يعود أقدم استيطان من الألف السابع على ساحلها المطل على البحر المتوسط وفيه الميناء(مينه البيضا)؛ الذي يشكل عقدة مواصلات رئيسة بين الساحل والداخل, ومحاط بسهل خصب لزراعة القمح والشعير وتجاوره جبال مغطاة بأشجار الكرمة والزيتون . [٤٧]

وتعدّ أوغاريت مليئة بالتلال الأثرية ، ويبلغ عددها المعروف اليوم ثمانية وثلاثين تلاً بما في ذلك رأس شمرا ، تل سوكاس ، تل رأس ابن هانئ ، تل رأس البسيط،وتلال أجريت فيها عمليات سبر وهي تل عرب الملك، وتل نهر العرب وقلعة الروس،واستطاع الدكتور" شيفر" من كشف الطبقات الخمس الموجودة في التل وهي:

---

[٤٦]- الخازن , نسيبه وهيبه , أوغاريت , بيروت ١٩٦١ , ص ٥٦ .

[٤٧]-فرزات – محمد حرب , موجز في تاريخ سورية القديم , المطبعة الجديدة , دمشق ١٩٨٣ – ص ٩٨ – ٩٩.

- **الطبقة الأولى :** وعصرها مابين القرنين الخامس عشر والثاني عشر ق.م .
- **الطبقة الثانية:** وعصرها مابين القرن الحادي والعشرين والسادس عشر ق.م.
- **الطبقة الثالثة :** وعصرها ما بين النصف الثاني للألف الرابع والألف الثالث ق.م.
- **الطبقة الرابعة:** وعصرها ينحدر من النصف الأول في الألف الرابع ق.م
- **الطبقة الخامسة:** وعصرها ينحدر من العصر الحجري الحديث.

وعثر " شيفر" على خرائب في أوغاريت فيها أقدم مكتبة ضمت ألواحاً مسمارية لأقدم نصوص أدبية كنعانية باللغة الأكادية [٤٨]، وأول رقيم فيه أبجدية مسمارية كاملة مكونة من ثلاثين علامة.

ازدهرت أوغاريت سياسياً خلال القرنين الخامس عشر, والرابع عشر, حيث عقدت الدوائر الحكومية الأوغاريتية معاهدات وصفقات تجارية مع الدول الكبرى مثل آشور وبابل ومصر مستفيدة من الظروف الذاتية الدولية آنذاك؛ التي أثرت على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أوغاريت حسب ما أظهرته الوثائق الأوغاريتية الغنية المتنوعة[٤٩].

٢-أرواد :

ظهر اسم أرواد لأول مرة في الألف الثالث قبل الميلاد في وثائق إيبلا وألالاخ في الألف الثاني قبل الميلاد, ثم في وثائق معارك تحوتمس الثالث في سورية (١٤٦٨ ق . م), وفي رسائل تل العمارنة وَردَ اسمها في الفينيقية هكذا (رود rwd) وفي

[٤٨] - اللغة الأكادية : تمثل الفرع الشرقي من مجموعة اللغات السامية , وهي لغة أهل الرافدين (بابل وآشور) , نشأت في الألف الرابع قبل الميلاد , وكانت تكتب بالمسمارية , وقد مرت بثلاث مراحل (الصوري , الرمزي , الصوتي المقطعي) .

[٤٩]-علي – أحمد علي إسماعيل , تاريخ بلاد الشام القديم , رسالة ماجستير , المجلد الأول , مركز الشام للخدمات الطباعية , دمشق ١٩٩٨ , ص ٢٢٢ .

الأكادية (Ar-wa-da) وفي العربية (أروادRuwad) وهي مدينة فينيقية تبعد عن طرطوس حوالي ٢,٥ كم, وعن طرابلس حوالي ٤٨ كم,[٥٠] وتقسم أروادإلى قسمين : أرواد الجزيرة , وأرواد الداخلية الواقعة على شاطئ البحر . وعلى الرغم من صغر مساحة أرواد ،إلا أنّها سيطرت على المدن المجاورة لها مثل: سميرا , وماراتوس (عمريت) [٥١] إلى أن تعرضت لأطماع الدول مثل مصر ومملكة أمورو وحتى سقوطها على يد شعوب البحر .[٥٢]

٣-سـميرا:

وردت سميرا في النقوش المصرية هكذا (d3-m-r) وهي مدينة كنعانية تقع على الضفة اليمنى لنهر الأبرش على بعد ٣.٥ كم من مصبه بين ضواحي عمريت في منطقة النهر الكبير الجنوبي وشمال منحدرات لبنان, ويُعتقد أنّ تل الكزل هو الأكثر ترجيحاً لموقع سميرا التي ذكرت في حوليات الملك المصري تحوتمس الثالث ١٤٧٩- ١٤٢٥ ق م, ويُذكر أثناء حملته السادسة أنّه وصل إلى مدينة سميرا, ثمّ قادش, فأرواد ، وذُكِرت بعد ذلك خلال حملات عصر الملك رعمسيس الثاني ١٢٩٠ -١٢٢٣ ق م أثناء الحديث عن معاهدة السلام بينه وبين الحثّيين, وكذلك جاء ذكر اسم سميرا عن أحد الآشوريين يتحدّث عن حملة قام بها الملك (تجلات فليصر الأول) أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الحادي عشر في بلاد لبنان, ويقول إنّ الملك سافر على مراكب أرواد مدة ثلاث ساعات مزدوجة إلى سميرا واصطاد في

---

[٥٠] – الحويلى – سليمان حامد سليمان ,مصر وبلاد الساحل الفينيقي خلال عصر الدولة الحديثة , القاهرة , ٢٠٠٠ , ص ٥١ .

[٥١] - قابلو – جباغ , المرجع السابق , ص ٢٣٧ .

[٥٢]– شعوب البحر : اسم أطلق على القبائل التي غزت سورية وقبرص ومصر عن طريق البحر منذ حوالي ١٢٠٠ ق . م , وقد قضوا على الإمبراطورية الحثّية وتصدّى لهم الفرعون المصري رعمسيس الثالث , ومن قبائلهم الدانات والشكلشوالبلّست .

عرض البحر حصان البحر وذُكرت في رسائل العمارنة كمملكة (أمورية) [٥٣] تزعمها عبد عشرتا وابنه عزيرو . [٥٤]

٤- جبيل :

تعتبر مدينة جبيل من أشهر مدن الساحل اقتصادياً واستراتيجياً وجاء اسمها في النصوص المصرية هكذا (kbn) [٥٥], في الوقت الذي أطلق الإغريق عليها اسم بيبلوس (biblos) التي كانت تمد بلاد اليونان والرومان بالورق المصنوع من نبات البردي .

وتقع المدينة على الساحل اللبناني بـ٢٥ ميلاً شمال بيروت على أقدم ميناء بحري في شرقي البحر المتوسط منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وتشتهر جبيل بحكم موقعها في مركز تجاريٍّ هام جداً؛ فيه جميع الإمكانات الطبيعية, مثل الأخشاب. ممّا دفع معظم المدن السيطرة عليها وخصوصاً مصر التي أقامت معها علاقات تجارية وثيقة من أجل الحصول على الأخشاب الجُبيلية الهامة .

٥-بيروت :

يُعدّ اسم بيروت فينيقي الأصل كبقية المدن الفينيقية ، ولقد ذهب العلماء إلى معنى كلمة (بيرت) الطعام والقوت ، وفي المصرية (prt) الغلّة والفواكه ، وفي الآرامية

---

[٥٣]- المملكة الأمورية : نسبة إلى الشعب الأموري وهو شعب عربي سامي وجد في منطقة الفرات الأوسط اعتباراً من الألف الثالثة قبل الميلاد وكان لهم دور رئيس في أحداث سورية في القرن الرابع عشر حيث لعبت دوراً مهماً في الصراع مع المصريين في سورية وكان من أهم ملوكها عبدي عشرتا وابنه عزيرو .

[٥٤]-دونان – موريس وصليبي , نسيب : البحث عن سميرا , مجلة الحوليات الأثرية السورية , المجلد السابع الجزءان الأول والثاني , دمشق ١٩٧٠ , ص ١٥٩ .

[٥٥]-بدوي – أحمد , ود . كيس هرمن : المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة , القاهرة ١٩٥٨ , ص ٢٦١ .

(بروتا) ومعناها الصنوبر والسرو ، ويوافق هذا الاسم في الآشورية (بُراتو) وبرسائل تل العمارنة (بئرونا)؛ وتعني البئر لكثرة ما حفر الأقدمون آباراً في ضواحيها . [٥٦]

وتُعدّ بيروت ميناءً مهمّاً على الساحل إلى جانب جبيل،وتحتوي على آثارٍ مصرية منذ عصر الدولة القديمة مثل تمثال لأبي الهول وغيره. وهذا يدل على مكانتها المتألقة بين المدن؛ لأنّها تضمّ مركزاً سياسياً رفيعاً؛ لعب دوراً بارزاً في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وهذا ما وضّحته رسائل تل العمارنة.

٦- صيدا:

أُشتقّ اسم صيدا من كلمة الصيد لما زاوله سكانها بكثرة في مياهها, وعلى هذا اتصل اسم الحرفة بحرف صيد الأسماك والأحياء البحرية ، وإليها يُنسب الإله الفينيقي صيدون [٥٧] وعُرفت في الفينيقية باسم (صدن sdn), وفي اليونانية

[٥٦]- شيخو – لويس : بيروت تاريخها وآثارها , مطبعة الأباءاليسوعيين , بيروت ١٩٢٧ ص ٨ .

[٥٧]- صيدون : هو إله الخصب والخلاص والشفاء , وقد سمّي بهذا الاسم نسبةً إلى مدينة صيدا حيث أنّ إله كل مدينة كان يُعرف باسمها (بعل صيدون) .

(sidon) وفي العربية (صيداsayda),وفي الأكادية (صيدونا ، صيدونو siduna), وعند الصليبيين (ساجيتا).[٥٨]

وذُكرت في رسائل العمارنة باسم (صيدون أو صيدونا siduna) وتقع صيدا خلف رأسٍ ممتدٍّ من ساحل المتوسط الشرقي ذات تربة فخارية عضوية خصبة, وأسّسها الفينيقيون تقريباً من سنة ٢٨٠٠ ق م على رأس جبلي؛ وهي أول زعيمة سياسية على الممالك الفينيقية ، فكانت مقسّمةً إلى محلّتين الأولى صيدون الكبرى؛ وهي رابضة على الساحل, والأخرى صيدون الصغرى, وتقع على مقربة من الجبل واشتهرت بصناعة الصباغ الأرجواني, والزجاج وبناء السفن والتعدين, بالإضافة إلى صناعة النسيج وصناعة الأواني الخزفية . ولا ننسى أهميتها التجارية بسبب موقعها الذي يربط بين مصر وفينيقيا. [٥٩]

٧- صـور :

لم يأتِ ذكر مدينة صور في النصوص المصرية صراحة قبل الدولة الحديثة ولكن إذا قبلنا بما نادى به Dussaud عالم المصريات من أنّ أول ما ذُكر اسم مدينة (دميتو-dmit3w) المذكورة على بعض كسرات الفخار الموجودة في متحف برلين. إضافةً إلى التماثيل الطينية الموجودة في المتحف الفلكي للفن والتاريخ في بروكسل,

---

[٥٨]-الحويلى – سليمان حامد سليمان : المرجع السابق , ص ٦٥ .

[٥٩]-الخوري – منير : صيدا عبر حقب التاريخ , بيروت ١٩٦٦ , ص ١٨ .

ما هي إلّا مدينة صور ، وبهذا يكون ذكرها على الآثار المصرية يرجع إلى منتصف الأسرة المصرية الثانية عشرة [٦٠] كما نُقش لها اسماً صريحاً على جدران معبد الكرنك زمن الملك تحوتمس الثالث . وكتبت صوري (surri) في رسائل تل العمارنة ، ويتكرر الاسم نفسه في الوثائق الآشورية ؛ حيث يذكرها الملك أسرحدون الملك الآشوري (٦٨٩ – ٦٦٨ ق.م) أثناء قيامه بإخماد عصيان مضاد للآشوريين في فينيقيا, وكان الملك أسرحدون قد أدرك أنّه إذا أراد للسيادة الآشورية أن تستقرّ في سورية فلا بد من إخضاع مصر [٦١] . وكذلك ذُكرت في الوثائق الكلدانية, ورأس شمرا في القرنين الخامس عشر, والرابع عشر ق .م . لقد أطلق الصوريون على مدينتهم اسم(صُر), ويمكن إرجاعه إلى الأصل (طُر)؛ ويعني في أكثر اللهجات العربية القديمة ؛ الصوان أو الحجر الحادّ, دليلاً على طبيعة الجزيرة الصخرية القاسية التي بُنيت عليها المدينة، وتعني بالخط الفينيقي الصخرة.

وتقع صور(الصخرة) على بُعد ٤٠ كم جنوب صيدا, وهي من أجمل مدن فينيقية بُنيت على جزيرة طولها ميل, وعرضها ثلاثة أرباع الميل ، وتألّفت من مدينتين الأولى بحرية؛ وهي الجزيرة التي عُرفت في كافة المصادر باسم صور, والثانية عُرفت باسم أوشو . ولعبت دوراً هاماً في جميع المجالات, حيث امتدَّ نفوذها إلى جبل الكرمل جنوباً حتى تخوم مملكة صيدا شمالاً, وكانت وراء تأسيس معظم المواقع الفينيقية الكبرى منذ القرن الثاني ق.م من الحوضَيْنِ, الشرقي والغربي للمتوسط . [٦٢]

---

[٦٠]–عبد الرزاق – عصام محمد السعيد : علاقة مصر بصور حتى نهاية الدولة الحديثة , وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور في العصر الفينيقي حتى القرن العشرين , جزءان ١٥ – ١٦ حزيران ١٩٩٦ ص ٥٦ .

[٦١]– قابلو –جباغ , المرجع السابق , ص ١٥٤ – ١٥٥ .

[٦٢]–قسيس – أنطوان : ركائز السلطة الاجتماعية والاقتصادية في مملكة صور الفينيقية , وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور من العصر الفينيقي حتى القرن العشرين , ج ١٥ – ١٦ لبنان ١٩٩٧ ص ٦٦ .

.....

الفصل الثانـي

تاريخ العلاقات التجارية المصرية الفينيقية منذ عصور ماقبل الأُسر إلى بداية عصر الدولة الحديثة (١٥٨٠ ق.م)

تاريخ العلاقات المصرية الفينيقية

١- العلاقات في عصور ما قبل الأُسر والدولة القديمة

تعود العلاقات بين مصر والساحل السوري إلى عصور ما قبل التاريخ, ويعتمد المؤرخون في ذلك على الأساطير, وكذلك على بعض الآثار . ومن الأساطير التي

تؤكد ذلك أسطورة إيزيس [٦٣],أوزيريس ؛ حيث جاء في الأسطورة أنّ ست[٦٤] قتل أخاه أوزيريس ثمّ وضعه في صندوق, وألقى بالصندوق في اليمّ, فجرفه التيار إلى أن رسا على شاطئ مدينة جبيل (بيبلوس), وثبّته بين فرعي شجرة من شجيرات الأثل, ونمت الشجرة, واحتوت بين طياتها جثمان أوزيريس, إلّا أنّ ملك بيبلوس أُعجب بضخامة الشجرة, فأمر بقطعها لتكون عموداً في قصره . فتقوم إيزيس بالبحث عن أخيها وزوجها حتى تصل إلى بيبلوس, وتعرف بمكانه, فتحتال حتى تدخل القصر في زي خادمة, وينتهي أمرها وتنكشف حقيقتها, فيأذن لها ملك بيبلوس بحمل العمود الذي يحوي جسد زوجها, فتأخذه وتعود به إلى مصر.[٦٥]

هذه القصة ليست أسطورة نشأت عن عصر متأخر, بل يراها الكثيرون من المؤرخين, إنّما هي قصة تبلورت فيها ذكرى حادثة تاريخية؛ وهي قِدمَ العلاقات بين مصر وفينيقيا إلى أقصى حدود القِدم (الألف الرابع قبل الميلاد), وهذه العلاقات لم تكن علاقات تجارية بل كانت دينية أيضاً[٦٦] أو ربما كانت العلاقات بين فينيقيا ومصر حدثت عن طريق البحر منذ عصور ما قبل التاريخ, اعتماداً على دراسة بعض أنواع الفخار, فضلاً عن استخدام البدّاريين[٦٧] في العصر الحجري النحاسي لأشجار الصنوبر؛ التي من المؤكد أنّها جلبت من سورية ؛لأن مصر لا توجد فيها مثل هذه الأشجار, حيث وجُدت جسور من جذوع الأرز في المقابر التي يعود تاريخها إلى عصر ما قبل الأسرة الأولى . وكذلك عُثر على بعض اللوحات الحجرية

---

[٦٣]– إيزيس : هو الإله الذي قاس من الشرور حتى الموت يمثّل على هيئة رجل دون تحديد أعضاء جسمه يلبس تاجاً , وكان مركز عبادته في أبيدوس .

[٦٤]– ست : صوّره المصريون على هيئة إنسان برأس حيوان غريب يشبه رأس الكلب بآذانٍ مفلطحة , وذيل مستقيم ممتدّ إلى أعلى ,وهو من أقدم آلهة مصر ومركز عبادته مدينة امبوس (محافظة قنا)

[٦٥]– كونتنو– ج , الحضارة الفينيقية ,ترجمة :محمد عبدالهادي شعيرة – الهيئة المصرية للكتاب, مصر ١٩٩٧ , ص ٢٢ .

[٦٦]–بيومي – محمد مهران , المدن الفينيقية , تاريخ لبنان القديم , دار النهضة العربية , بيروت ص ١٩٩ .

[٦٧]– هي حضارة البداري في مصر قي بداية الألف الرابع قبل الميلاد في الصعيد على الضفة الشرقية لنهر النيل .

المرمرية المصرية, وعلى بعض التمائم الحيوانية الصغيرة في بيبلوس [٦٨] في الألف الرابع قبل الميلاد . وعلى هذا يمكن القول بأنّ العلاقات بين مصر وفينيقيا تعود إلى تلك الفترة .

وهناك ما يشير إلى أنّ المصريين قد استوردوا من فينيقيا أخشاب الأرز والصنوبر التي أُستخدمت في مقابر الملوك في أبيدوس[٦٩] وفي صناعة السفن الكبيرة ربما في عهد الملك مينا مؤسس الأسرة الأولى في مصر (٢٩٥٠- ٢٧٨٠ ق م), فضلاً عن استيراد الزيوت والخمور في أوانٍ فخارية من سورية [٧٠] في فترة الأسرة الأولى .

ويذكر الدكتور عبد الحميد زايد بأنّ التجّار الأوائل كانوا يهتمون بإحضار زيت شجرة الأرز؛ الذي جاء ذكره في نص من عهد الملك المصري (عندج إيب) من الأسرة الأولى . كما عُثر في مقابر الأُسر في مصر على أوانٍ لها نفس الأشكال السورية وعليها رسوم تمثل الأواني السورية, وكانت غالباً مملوءة بزيت الزيتون, والمؤكد أنّه جيء بها من سورية عن طريق البحر وغالباً عن طريق ميناء بيبلوس[٧١]

وكذلك عُثر على قطعة حجرية مصرية في مدينة جبيل تحمل (سرخ)[٧٢] ملكي ينتمي إلى الأسرة الثانية, فضلاً عن إناءٍ صغير من الحجر المصقول يحمل اسم الملك (خع سخموي) آخر ملوك الأسرة الثانية. [٧٣]

وما يؤكد قيام العلاقات التجارية بين مصر وفينيقيا, ما يذكره الدكتور محمود عبد الحميد بأنّ هناك جماعات دخلت مصر بهدف الإتجار معها, ودليله على ذلك

---

[٦٨]- G .Brunton ,and caton , thomposom , the badarain civilization , 1928 . p . 627.

[٦٩]- أبيدوس مدينة مداخن أثرية مقدسة في مصر واسمها يوناني اشتقّ من الاسم اليوناني أبدو , وتقع في أقصى جنوبي الصعيد على حافة الصحراء , وهي أهمّ المواقع التي تعود إلى فجر التاريخ المصري القديم لمكانتها الدينية المقدسة .

[٧٠]- بيومي – محمد مهران , المرجع السابق , ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

[٧١]- بيومي – محمد مهران , المدن الفينيقية , تاريخ لبنان القديم , ص ٢٠١ – ٢٠٠ .

[٧٢]-السرخ : كلمة مصرية قديمة تعني واجهة القصر وقد اعتاد الملك المصري أن يضع اسم الملك صاحب القصر على هذه الواجهة .

[٧٣]-الناضوري – رشيد . جنوبي غربي أسيا وشمال أفريقيا , بيروت , ١٩٦٨ , ص ١٢٠ – ١٢١ .

نصوص حجر (بالرمو) [٧٤] والتي تعرض التجارة التي كانت قائمة بين سورية ومصر, فقد جاء فيها أنّ الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة (٢٨٧٠- ٢٦٨٠) ق.م . قد أحضر أربعين سفينة محملة بخشب الأرز وخشب(ميرو) [٧٥] حيث صنعت من هذا النوع الأخير سفن بطول ١٠٠ ذراع, كما صنعت أبواب القصر الملكي من خشب الأرز. [٧٦]

والنص الأصلي هو : (إحضار أربعين سفينة مملوءة بخشب الأرز عمل سفينة بطول ١٠٠ ذراع من خشب ميرو سفينتان بطول ١٠٠ ذراع عمل أبواب القصر الملكي من خشب الأرز). [٧٧]

وهناك ما يؤكد ازدياد قوة العلاقات بين فينيقية ومصر في عهد خوفو (خليفة سنفرو), حيث تذكر المصادر قيام جالية مصرية من ميناء جبيل منذ أيام الأسرة الثانية؛ والذي أصبح أكبر ميناء تجاري بين مصر وغربي آسيا, كما أصبحت السفن تتعامل مع جبيل أو المصنوعة من أخشابها تسمى الجبيلية [٧٨]

وقد ذهب بعض الباحثين أنّ ميناء جبيل كان يقوم بدور الوسيط بين تجارة مصر وكريت [٧٩], لكن ذلك غير مؤكد؛ لأنّ الاتصال بكريت كان قائماً منذ عهد الدولة القديمة ؛ ولأنّ التأثيرات المصرية كانت واضحة في الثقافة الكريتية, وهذا فضلاً عن

---

[٧٤]–بالرمو : هو إحدى الوثائق الهامة التي سجل عليها المصريون القدماء أحداث ملوكها وترجع إلى عصر الأسرة الخامسة وهو لوح من البازلت الأسود ويسجل عليه مدد حكم ملوك مصر منذ الأسرة الأولى حتى عصر كتابتها في الأسرة الخامسة وقسم منه موجود في متحف بلرموفي صقلية والأقسام الباقية في مصر ولندن .

[٧٥]–ميرو : نوع من الخشب من فصيلة الأشجار الصنوبرية .

[٧٦]–أحمد – محمود عبد الحميد : الهجرات العربية القديمة , دار طلاس , ط١ , دمشق ١٩٨٨ ص ١٩٦ .

[٧٧] – Wilson.J,Brief Texts of the old,Kingdom,A.N.E.T.Princeton,1955.P.227

[٧٨] – Wilson,J,Brief Texts of the old,Kingdom,A.N.E.T.Princeton,1955.P.227

[٧٩]–صالح – عبد العزيز , مصر والعراق , ط١ , القاهرة – ١٩٧٦ ص ٨٩ .

أنّ هناك مَن يذهب بأنّ المصريين وصلوا إلى كريت مباشرةً, دون أن يعطوا دور الوسيط لأحد .[٨٠]

وما يؤكد العلاقات التجارية أيضاً, أنّه عُثر على تابوت خشبي في موقع الهرم المدرج المؤرخ بعهد الأسرة الثالثة, وهو مصنوع من أربعة أنواع من الخشب أحدها محلي. أمّا الأنواع الثلاثة الأخرى, فقد استوردت من منطقة الساحل السوري؛ وهي الأرز والصنوبر والسرو. كما عُثر من عهد خوفو على عدد من مراكب الشمس المصنوعة من خشب الصنوبر المستوردة من منطقة الساحل السوري[٨١] ؛ حيث وجدت إحدى هذه المراكب مفككة وموضوعة ضمن حفرة خاصة بها, بالقرب من الهرم الأكبر, وبعد تركيبها بلغ طولها ٤٣,٥٥ م, وارتفاعها عند المقدّمة ٥ م, وعند المؤخّرة ٧ م, وتتكوّن هذه المركبة من ٦٥١ قطعة خشبية غالبيتها العظمى من أرز لبنان . [٨٢]

وفضلاً عن كل هذا نعلم بأنّ ما يؤكد قيام العلاقات الوثيقة بين الدول هو قيام علاقات دينية فيما بينها. فهذا ما نجده في العلاقات بين مصر وفينيقيا, وخير دليل على ذلك أنّه أقيم في عهد خوفو وسط مدينة جبيل معبد مصري أضاف إليه من جاء بعده, كما تشهد بذلك عدة أحجار من هذا المعبد تحمل اسم خوفو بل وأسماء بعض من سبقوه على عرش مصر ومن لحقوا به على هذا العرش . [٨٣]

ولم يتوصل أحد إلى ما إذا كان هذا المعبد فينيقي الأصل أم مصري الأصل, فربما كان فينيقياً إذ أراد الملوك المصريون أن يجاملوا أصحابه, ويهدونه هدايا ثمينة تحمل أسماءهم, ولم يمنعهم تمسكهم بدينهم المصري من أن يتسامحوا مع آلهة جيرانهم

---

[٨٠]–الناضوري– رشيد , أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان , الإسكندرية , ١٩٦٨ ص ٢١ .

[٨١]–شارف– ألكسندر , تاريخ مصر , القاهرة , ١٩٦٠ ص ٤٨ .

[٨٢]– فخري– أحمد , الأهرامات المصرية , القاهرة , ١٩٦٣ , ص ١٥٤ – ١٥٥ .

[٨٣]-أحمد – عبد الحميد محمود , الهجرات العربية القديمة , ص ١٩٩ .

ويعملوا على إثراء معابدها وقد يكون معبداً مصريّ الأصل شادته جالية مصرية تجارية أقامت في جبيل وعكفت على عبادة أربابها . [٨٤]

أو ربما كان معبداً مصرياً أُقامه أمراء جبيل أنفسهم لكسب ودِّ المصريين, وقبلوا فيه العقائد المصرية, كما قبلوا له هدايا الملوك المصريين

وكذلك أسفرت الحفائر عن اكتشاف معبد للآلهة المصرية إيزيس بجانب معبد بعلة جبيل, وأكدت أن الآلهتين بمرور الزمن أصبحتا آلهة واحدة[٨٥].

لكن (جاردنر) يذكر شيئاً آخراً يقول بأنّ الآلهة المصرية التي امتزجت بإلهة جبيل عشتار كانت حاتحور[٨٦] وليست إيزيس حيث جاء ذكر حاتحور على خاتم أسطواني لأحد حكام بيبلوس وقد صحبه إلهين ذكرين رعوخاي تاو ؛ الذي هو الإله المصري الخاص بمنطقة غابات لبنان حيث تقطع الأشجار. [٨٧]

وما يؤيد وجود العلاقات التجارية أنّه عُثر على أخشاب الأرز المستخدمة في المقابر والمعابد المصرية القديمة, وخير مثال على ذلك مقبرة خعسخموي (آخر ملوك الأسرة الثانية, التي كانت مسقوفة بخشب الأرز المستورد من الساحل الفينيقي, وكذلك صُنعت منه مراكب الشمس ونواويس تماثيل الآلهة .

كما دخلت هذه الأخشاب في صناعة الأثاث الثمين ؛ الذي استعمله الملوك, وعلية القوم لذلك كانت مصر تستورد الكثير [٨٨] من هذا الخشب المرغوب لديهم .

---

[٨٤]-صالح- عبد العزيز , مصر والعراق , ص ١٠٦ .

[٨٥]-حتي فيليب : تاريخ لبنان , ترجمة أنيس فريحة نقولا زيادة , بيروت ١٩٧٢ ص ٨ .

[٨٦]-حاتحور : إحدى الإلهات في مصر والمذكورة في الأساطير المصرية القديمة .

[٨٧]-جاردنر- أ: مصر الفراعنة , ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم , القاهرة ١٩٧٣ ص ١٢٥ .

[٨٨]- عصفور- محمد ابو المحاسن. المدن الفينيقية , دار النهضة العربية , بيروت , ١٩٨١ , ص ٣٠ .

وقدّم المصريون أجمل الهدايا إلى جبيل إرضاءً لآلهة الفينيقية مثل (الربة بعلت جبيل) تبرّكاً لها ولقوّتها التي بإرادتها تمنح المصريين الخيرات والأخشاب ومن هنا اعتبرت هداياهم خير دليل على ازدهار التجارة بين مصر والساحل الفينيقي. وقد كشفت الحملات الأثرية النقاب عن آثار رائعة الجمال وجدت في المعابد الفينيقية وأهمها إناء من حجر الديورت على شكل قرد ربما يعود إلى عهد الملك خوفو من ملوك الأسرة الرابعة وكسرة من الباستر منقوش عليها اسم الملك (منكاورع)[٨٩] وكذلك كسرات تحمل اسم الملك (أوناس) [٩٠] وكسرة حجرية تحمل الاسم الحوري للملك (مري ن ر ع). [٩١]

وكذلك عُثر على بعض الرسوم الجدارية؛ التي تعود إلى فترة الدولة القديمة في مصر ؛ والتي نقشت على جدران المعابد المصرية في تلك الفترة حيث نقش على جدران معبد الملك ساحورع[٩٢] (الشكل ٥) الجنزي في أبوصير [٩٣] عدد من السفن المصرية وقد دخلت أحد موانئ مصر فطويت قلاعها, وأنزلت سراياها العظيمة وعلقت مجاذيفها في أماكنها المخصصة لها. وهبَّ الجميع واقفين على متن الأسطول, وقد رفعوا أيديهم أمام وجوههم لتحية الملك الذي كان ينتظرهم على الشاطئ يهتفون (المجد للملك يا ساحورع رب الأحياء) .

وممّا يلفت النظر في رسوم هذا المنظر وجود عدد من الأشخاص ذوي الأصول العربية رجالاً ونساءً على متن الأسطول, حيث تميزوا عن المصريين بشعورهم الطويلة ولحاهم المدببة, وقد أثار حضورهم إلى مصر على متن أسطول ملكي

---

[٨٩]-منكاورع (حوالي ٢٦٠٠ ق.م من أهم ملوك الأسرة المصرية الرابعة حكم حوالي ٢١ عاماً .

[٩٠]-أوناس : آخر ملوك الأسرة الخامسة له هرمه المشهور الذي نقشت في داخله نصوص الأهرام .

[٩١]-مري ن .ر. ع . من ملوك الأسرة السادسة كان صغير السن لا يتجاوز الثامنة عن اعتلائه العرش .

[٩٢]-ساحورع : من أعظم ملوك الأسرة الخامسة وتسلم الحكم بعد أخيه وسر كاف .

[٩٣]-أبو صير : اسم أطلق على بلدة ومنطقة أثرية تبعد حوالي ٥ كم جنوب أهرام الجيزة .

مصري تساؤلات عدة، أنّه هل كان هؤلاء أسرى حرب أم أنّهم جاؤوا إلى مصر في زيارة ودية أم مهمة تجارية .

يؤكد الدكتور محمود عبد الحميد بأنّ الأسطول كان تجارياً, حيث لا توجد أية إشارة حربية أو أي معدات حربية على متن السفينة [٩٤]

وما يؤكد بأنّ الأسطول كان تجارياَ ظهور نوع من الأباريق الفخارية ذات مقبض بشكل عصبة (band) ضمن الأسطول ، ولمّا كان موطن هذا النموذج الفخاري هو منطقة سورية تأكد بأنّ الأسطول كان في مهمة تجارية في منطقة الساحل السوري, وأنّ تلك الأواني الفخارية قد استخدمت لنقل إنتاجٍ سوري غالي الثمن ربما كان زيت الزيتون. [٩٥]

وفي نفس الموضوع يؤكد الدكتور أحمد فخري بأنّ مهمة رحلة أسطول ساحورع إلى سورية ربما كانت إحضار أميرة سورية لتكون زوجة للملك, وكان يرافقها على متن الأسطول عدد من السوريين ربما جاؤوا إلى مصر ليكونوا حراساً للأميرة [٩٦] وهذا ما يؤكد باتخاذ المصاهرات سبيلاً إلى تقوية العلاقات بين الدول المتجاورة منذ القديم .

وتذكر النصوص المصرية أنّ العلاقات التجارية بين مصر وفينيقية بدأت بالانقطاع في فترة الانتقال الأولى في مصر (٢٢٣٠ – ٢٠٥٠) ق م . حيث سادت البلاد ثورات اجتماعية أدت إلى انعدام الأمن على الطرق التجارية والذي أدى بدوره إلى ضعف تجارة مصر من الخشب الفينيقي وانقطاع العلاقات فيما بينها. وخير دليل على ذلك عندما عبّر الحكيم إيبور[٩٧] عن هذه المحنة قائلاً : " لا أحد يبحر شمالاً

---

[٩٤]– أحمد – محمود عبد الحميد , الهجرات العربية القديمة , ص ٢٠٣ .

[٩٥]–Mellaat.s.j.thechalcolthec and Early bronze ages in near east anatoia ,Beirut ,1966.p.69

[٩٦]–فخري – أحمد , دراسات في تاريخ الشرق القديم , القاهرة , ١٩٥٨ ص ٩٠ .

[٩٧]–إيبور : يقول الكثير من الباحثين أن هذا الحكيم عاش في مصر أيام بيبى الثاني الأخيرة من الأسرة السادسة .

إلى جبيل اليوم, ماذا نفعل من أجل خشب الأرز الضروري لمومياءنا ، والذي يدفن الكهان بمستحضراته . [٩٨]

إذاً هذا النص يجعلنا ندرك تماماً بأنّ العلاقات التجارية قد انقطعت بين مصر وفينيقيا ويجعلنا نستنتج حاجة مصر الملحّة إلى الأخشاب الفينيقية

٢. العلاقات التجارية في الدولة الوسطى:

قامت السياسة المصرية الخارجية في عصر الدولة الوسطى على أساس تغليب علاقات الودّ مع الدول المتجاورة في الشام والعراق وجزر بحر إيجة ، واتخاذ الصلات التجارية معها سبيلاً إلى التأثير الحضاري فيها كما قامت على أساس توطيد النفوذ وتوسيع الإشراف والاستثمار على امتداد الحدود في الغرب والجنوب (ليبيا والنوبة) مع إيثار السلام المسلح القائم على التحصن واليقظة في الناحيتين وعدم الالتجاء إلى استخدام القوة فيها إلّا عند الضرورة . [٩٩] .

وهناك من يذهب إلى أنّ النفوذ المصري ذهب إلى جبيل منذ زمن بعيد ، فقد عثر على مسلة في معبد بيبلوس منقوش عليها كتابة مصرية هيروغليفية, تشير بأنّ نصباً أقيم من أجل أبي شامو أمير بيبلوس محبوب الإله المصري ؛ وهي تؤرّخ بعصر الأسرة الحادية عشرة (٢٠٥٢– ١٩٩١ ق.م)[١٠٠].

وقد أشار القائد حنو في عهد منتوحتب الثاني [١٠١] (٢٠١٠ – ١٩٩٨ ق.م) عن دور له في معاملة الحاونبو أي جزر البحر المتوسط وما يؤكد نفوذ منتوحتب الثاني

---

[٩٨]–أحمد – محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ٢٢٠ .

[٩٩]– صالح– عبد العزيز , مصر والعراق , ص ١٧٦ – ١٧٧ .

[١٠٠]- أحمد – محمود عبد الحميد , المرجع السابق , ص ٢١١ .

[١٠١]– منتوحتب الثاني : يعده الباحثون مؤسس الأسرة الحادية عشرة في مصر (٢٠٥٢ – ١٩٩١) ق . م .

في آسيا وعلاقته معها ما عُثر على وصف له في مقصورة بدندرة[١٠٢] جاء فيها " أنّ ضارب البلاد الشرقية, وقاهر الأقطار الجبيلية الذي وطئ الصحارى, واستبعد النوبيين والليبيين والآسيويين " وكذلك كان هذا الملك يستخدم السفن الجبلية في التجارة مع بلاد البونت الصومال حالياً لإحضار منتجات هذا البلد إلى مصر وهذا ما يؤكد قيام علاقات تجارية بين مصر وفينيقية في عهد منتوحتب الثاني

وبقيام الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ – ١٧٨٨ ق. م) في مصر, تبدأ فترة جديدة من تاريخ مصر ، حيث توطد الحكم في عهد طائفة الملوك الأقوياء ،أعادت مصر عزّتها وحكمت البلاد في سؤددٍ وأبهةٍ لم يشهدها عصر من قبل . فقد استطاع الفرعون المصري سنوسرت الثالث (١٨٧٢ – ١٨٤٣ ق م) استعادة فلسطين وسورية وكامل الساحل الشرقي لساحل البحر المتوسط في حملة تأديبية, حيث أنّ الملك نفسه شارك في هذه الحملة في عام (١٨٥٠ ق. م) [١٠٣] ونعمت مصر في ظل الأسرة الثانية عشرة بالرخاء لأكثر من قرنين من الزمن وتشير الدلائل إلى أنها بسطت نفوذها على جميع مناطق سورية في القرن التاسع عشر ق.م فاستتبّ الأمن وازدهرت التجارة . حيث كانت سورية حلقة وصل بين مصر وكافة الأقطار باعتبارها مركزاً تجارياً مهماً وكونها ممرّاً دولياً على الطريق التجاري الرئيسي للعالم القديم ،

ويذكر الدكتور محمود عبد الحميد أنّ هناك عناصر بشرية دخلت مصر في عهد الدولة الوسطى بهدف الاتجار معها أو الاستقرار فيها فقد عُثر على نصّ يصاحب منظر قدوم سبعة وثلاثين شخصاً من العامو[١٠٤] إلى مصر بقيادة زعيمهم المدعو

---

[١٠٢]– دندرة : تقع على بعد ٦٠ كم شمال الأقصر وعاصمة الأقليم السادس في مصر العليا كرست لعبادة الربة حاتجور .

[١٠٣]– حجازي حسين , جزيرة أرواد والجذور الفينيقية , دار الأماني , سورية , ص ٢٢٨ .

[١٠٤]–العامو : تسمية مصرية لبدو سورية .

(أبشا) مما يدل على العلاقات التجارية بين سورية ومصر في فترة الدولة الوسطى . [١٠٥]

وكانت مصر قد استوردت من الساحل الفينيقي الأخشاب الضرورية لصنع السفن، وكذلك استوردت الأسرة الثانية عشرة (زفت الخشب)؛ الذي عرفه لوكاسا بالراتنج بعد تحليل عيّنة منه, تبيّن أنّه مصنوع من الأخشاب المخروطية أو من خشب العرعر الذي لا ينمو في مصر, وهذا ما يؤكد أنّ قطران الخشب أو زفت الخشب الذي استخدم في مصر قديماً لم يتم إنتاجه في مصر بل كان مستورداً من الخارج [١٠٦] وبالتحديد من فينيقية . وكانت مصر في عهد الدولة الوسطى, قد احتوت أكبر إرث حضاري مزيج من الحضارات الشرقية في مجال اللغة والأدب وخير ما يشير إلى ذلك قصة (سنوحي) [١٠٧] ؛ التي تدل على العلاقات المتينة مع مصر ومفادها أنّه عندما هرب خوفاً من وقوعه في المشاكل السياسية في مصر حتى لا يتورط في المؤامرة [١٠٨] ؛التي جرت عام ١٩٦٢ ق م فعَبرَ الحدود حتى وصل إلى جبيل حيث طاب له المقام في فلسطين حيث لم يُقم في جبيل ؛ لأنّ علاقات جبيل كانت جيدة مع مصر, وكذلك كان يوجد فيها جالية مصرية كبيرة, فقد كان يخشى من أن تصل إليه يد الملك المصري, لكنه عندما غلب عليه الحنين إلى وطنه أخذ يستأذن الفرعون سنوسرت الأول في العودة إلى مصر. [١٠٩]

---

[١٠٥]–أحمد – محمود عبد الحميد , الهجرات العربية القديمة , ص ١٩٧ .

[١٠٦]–لوكاس – أ : المواد والصناعات عند القدماء المصريين , ترجمة : زكي الأسكندر , القاهرة , ١٩٤٥ – ص ٧٠٤ .

[١٠٧]– سنوحي : هو أحد النبلاء المصريين , هرب من مصر على أثر موت امنمحات الأول عام ١٩٧٠ ق.م خوفاً من ابنه سنوسرت الأول خوفاً من عواقب تأمره على هذا الابن .

[١٠٨]– دبرت هذه المؤامرة لقتل امنمحات الأول على يد حراسه واتهم سنوهي بالمشاركة في المؤامرة .

[١٠٩]– بيومي – محمد مهران , المدن الفينيقية , ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

نستنتج من هذه القصة أنّ الكثير من الأشخاص أو التجّار أو السفراء المصريين كانوا يفدون إلى سورية ويتجولون فيها دون أن يتعرضوا لأية مضايقة من السوريين مما يدل على أن الحدود السورية كانت مفتوحة أمام التجارة المصرية.

وعلى أية حال هناك ما يشير إلى أن الملوك المصريين والنبلاء كانوا يرسلون الهدايا إلى الأمراء الفينيقيين وغيرهم من السوريين الموالين لمصر لكسب صداقة الدويلات الفينيقية الصغيرة, فقد كانوا يحبّون تلك الهدايا وتنشرح لها صدورهم ، ومن تلك الهدايا أوانٍ من الأوبسيديان الأسود اللامع إلى أحد أمراء جبيل في عهد تولّيه إمارة المدينة إبان عهد الفرعون المصري (أمنمحات الثاني ١٩٢٩– ١٨٩٥ ق م). [١١٠]

وكان حكّام المدن الفينيقية يتخذون لإماراتهم شعاراً ذا طابع مصري ، وكذلك كانوا يتطيبون عند تتويجهم بزيت وُضع في آنية تحمل اسم ملك مصر [١١١], فضلاً عن أنهم كانوا يكتبون أسماءهم بالهيروغليفية المصرية, ويستخدمون اللقب المصري (حاتي عا) الذي حمله المصريون من كبار الموظفين منذ أمدٍ بعيد في الأقاليم المصرية نفسها [١١٢] ، لكن المؤرخ جون ويلسون يرى أن هؤلاء الحكّام لم يكونوا من موالي مصر أو كانوا يحكمون باسمها ويقدّمون لها جزية مفروضة؛ لأنّ مصر لم يكن لها إمبراطورية سياسية في آسيا إبان عهد الدولة الوسطى ، لكنها كانت تتمتع بالفوائد الروحية والاقتصادية التي كانت تجنيها . فقد كان لها تأثير على تلك البلاد في ميدان الحضارة والتجارة. [١١٣]

فقد عُثر في الساحل الفينيقي على العديد من اللقى المصرية التي تعود إلى عهد الدولة الوسطى؛ وهي عبارة عن تماثيل لأبي الهول الخاصة بالملك امنمحات الثالث

---

[١١٠]– صالح– عبد العزيز , مصر والعراق , ص ١٧٨ .

[١١١] –T.Save-Soderberghe,the hyksos Rule in Egypt in JEA 1951,P.53

[١١٢]–يويوت– جان , مصر الفرعونية , ترجمة: سعد زهران , القاهرة , ١٩٦٦ – ٩٨ .

[١١٣]– J-h -Wilson, the Culture of Ancient Egypt Chicago,1963.P.155

(١٨٤٢ – ١٧٩٧ق.م), ومزهرية (في أوغاريت) للملك امنمحات الرابع (١٧٩٨ – ١٧٩٠ ق.م) (الشكل ٦) ؛ حيث أنّها وُجدت في مناطق عديدة من سورية مثل أوغاريت وبيروت ويُعدّ وجود مثل هذه التماثيل كهدايا دبلوماسية لأمراء الساحل عامة وجبيل بشكل خاص دليلاً على العلاقات الوثيقة بين جبيل ومصر.

وعلى أية حال فقد اتسعت صلات مصر التجارية بمناطق فينيقية في أيام الدولة الوسطى, فقد عُثر على علبة من الأوبسيديان فيها نقش خاص بالفرعون المصري امنحات الرابع داخل تابوت حاكم جبيل مع قطع أثرية جميلة ، بالإضافة إلى آثار تمثال سفنكس وهو حيوان خرافي لأبي الهول عُثر عليه في بيروت . [١١٤]

وأخيراً يجب أن نشير إلى أن تحرك القبائل الأمورية من سورية باتّجاه مصر جراء هجرة الشعوب الهندو أوربية إلى سورية أدى إلى انقطاع التجارة بين سورية ومصر في أواخر عهد الدولة المصرية الوسطى, حيث أصبحت هذه الطرق غير آمنة وقد ساهمت هذه الخسارة الاقتصادية في سقوط الدولة المصرية الوسطى .[١١٥]

هذا وعلى الرغم من الاضطرابات التي تعرضت لها مصر في أعقاب الأسرة الثانية عشرة, فإنّ ملوك الأسرة الثالثة عشرة (١٧٨٦– ١٦٣٣) ق.م, قد استمروا في الحفاظ على الوحدة الوطنية متماسكة, حيث كانت مصر تُحكم بملك واحد وظلت هيبة مصر في غربي آسيا إلى حد كبير, وكان ذلك في عهد ملكها (سحتب ايب رع) وهو الخلف المباشر للملك (امنمحاتسونب اف) ثاني ملوك الأسرة الثالثة عشرة, فقد اعترف به أمير جبيل بيبلوس (ياكينإليوم) فقال إنّه خادم ملك مصر . [١١٦]

---

[١١٤]–بيومي – محمد مهران , المدن الفينيقية , ص ١٨١.

[١١٥]–أحمد – محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية – ص ١١٩ .

[١١٦] – W.Hayes,Egypt Form the Death of Ammenefmes, III, to Seqenenre.1965.P.6

ويبدو أن سيادة(خع سخم رع) (نفر حوتب الأول ١٤٧٠- ١٧٣٠) وهو من أهم ملوك الأسرة الثالثة عشرة إنّما كان معترفاً به في سورية وفينيقية .

ولعل أكثر الآثار أهمية, هو ذلك النقش الذي كشف عنه عند الشاطئ السوري وفيه يصور (يوناثان) أمير جبيل (بيبلوس) جالساً أمام شخص عظيم ، صورته مختفية, ولكن النصوص المدونة إلى جانبه تؤكد أنّه الملك المصري (نفرحوتب) بالذات وربما كان (يوناثان) أو (بانتين) هذا ابناً للأمير (ياكين اليوم) الذي كان أميراً لمدينة جبيل أيام (سحتب ايب رع الثاني).[١١٧]

وأيّاً كان الأمر فإنّ ما لاشك فيه أنّ الآثار المصرية التي كُشف عنها في جبيل في فترة ما بعد الأسرة الثانية عشرة كثيرة جداً, فقد عُثر على الكثير منها في معبد يمسى بمعبد المسلات ، (الشكل ٧)؛ وهي عبارة عن تماثيل صُنعت في مصر وصُدِّرت إلى جبيل ، ومنها تمثال صغير لرجل من القاشاني يحمل على كتفيه حملاً ، وتمثال لقِردة وكلب وقطة من القاشاني . [١١٨]

وفي أيام الوجود الهكسوسي في مصر (١٧٣٠- ١٥٧٥ ق م) لم تنقطع العلاقات بين مصر وفينيقيا, حيث هناك ما دلّ على استمرار العلاقات فيما بينهما, فقد قام الهكسوس بإدخال بعض المظاهر الحضارية إلى مصر, مثل العربة الحربية التي تجرّها الخيول, والحصان, والسيوف المحنّنة, والخناجر والقوس, والقوس المركّب المصنوع من طبقات من الخشب, وأوتار العضلات والقرون . وفي مجال الفنّ أدخل الهكسوس إلى مصر نوعاً من المشابك والحليّ, ونوعاً خاصاً من الفخار, وبعض الزخارف نراها واضحة على زخارف الجعارين, وفي مجال الدين عبد الهكسوس

---

[١١٧]- بيومي- محمد مهران , المدن الفينيقية , ص ٢١٥ .

[١١٨]- زايد- عبد الحميد , مصر الخالدة , القاهرة ,بلاتا, ص ١١٦ .

حسب النصوص المصرية الإله سوتخ[١١٩], ومن المؤكّد أنّ عبادتهم لهذا الإله كانت آسيوية المذهب أكثر من أن تكون مصرية الأصول, فملابسه وغطاء رأسه يجعلانه يشبه الإله بعل المعروف عند الكنعانيين, كما ظهرت بعض الآلهة السورية القديمة في مصر خلال حكم الهكسوس, وكذلك قدّس الهكسوس بعض الآلهة المصرية وبخاصةً الإله رع, حيث أدخلوا اسم رع في ألقابهم, مثل (ساأوسرآن رع خيان), و(عا أوسر رع فيس الأول) [١٢٠] .

ويعتبر ما ذكرناه خير دليل على استمرار العلاقات بين مصر وسورية خلال حكم الهكسوس في مصر ؛ والتي كانت حتماً عبارة عن علاقات تجارية فيما بينهما .

الفصل الثالث

العلاقات التجارية الفينيقية في عهد الدولة المصرية الحديثة

١- الأوضاع الدولية عند قيام الدولة المصرية الحديثة (١٥٨٠-١٠٧٨ ق.م)

٢- العلاقات التجارية الفينيقية المصرية خلال عصر الأسرة الثامنة عشر.

- **العلاقات التجارية في عهد أحمس الاول (١٥٧٥-١٥٥٠) ق.م**
- **العلاقات التجارية في عهد تحوتمس الأول (١٥٢٨-١٥١٠) ق.م**

---

[١١٩]- الإله سوتخ : هو لفظ بابلي للإله ست المعروف في مصر .

[١٢٠]- أحمد – محمود عبدالحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ١٢٨ .

- العلاقات التجارية في عهد الملكة حتشبسوت (١٤٩٠-١٤٦٨) ق.م
- العلاقات التجارية في عهد تحوتمس الثالث (١٤٧٩-١٤٢٥) ق.م
- العلاقات التجارية في عهد امنحوتب الثاني (١٤٢٧-١٤٠١) ق.م
- العلاقات التجارية في عهد تحوتمس الرابع (١٤٠١-١٣٩١) ق.م
- العلاقات التجارية في عهد امنحوتب الثالث (١٣٩١- ١٣٦٧)ق.م
- العلاقات التجارية في عهد امنحوتب الرابع (١٣٦٧-١٣٥٠)ق.م
- العلاقات التجارية الفينيقية المصرية في عهد الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨-١١٩٤)ق.م
- العلاقات التجارية الفينيقية المصرية في عهد الأسرة العشرين (١١٩٤-١٠٧٨)ق.م
- وسائل النقل بين فينيقا ومصر .

العلاقات التجارية الفينيقية المصرية في عهد الدولة المصرية الحديثة .

١- الأوضاع الدولية عند قيام الدولة المصرية الحديثة (١٥٨٠-١٠٧٨ ق م)

استطاعت مصر أن تعيد وحدتها بعد نهاية حكم الهكسوس على يد الملك المصري أحمس (١٥٧٥-١٥٥٠)؛ الذي يعد المؤسس الحقيقي للأسرة الثامنة عشرة وموحّد مصر العليا ومصر السفلى . ومن هذه التجربة تعلّمت مصر خبرات عسكرية عديدة من خلال محاربتهم للهكسوس, مثل تكوين جيش منظّم ومزوّد بأحدث الأسلحة والمعدات والعجلات الحربية [١٢١] من أجل حماية البلاد ، وكانت مصر قد مرّت في ظل الأسرة الثامنة عشرة في ثلاث مراحل تاريخية :

المرحلة الأولى (١٥٨٠- ١٤٦٨ ق.م) : مرحلة حماية الحدود منذ عهد أحمس الأول وامنحوتب الأول وتحوتمس الأول وتحوتمس الثاني حتى حكم الملكة حتشبسوت . [١٢٢]

المرحلةالثانية: (١٤٦٨-١٣٩١ ق م) مرحلة التوسّع في عهد الفراعنة تحوتمس الثالث وامنحوتب الثاني وتحوتمس الرابع .

المرحلة الثالثة: (١٣٩١- ١٣٠٨ ق م) : وهي مرحلة ضياع, وقد حكم في هذه المرحلة كلاً من امنحوتب الثالث وامنحوتب الرابع (أخناتون) وتوت عنخ أمون وأي وحور محب [١٢٣].

---

[١٢١]-العجلات الحربية : لم تكن موجودة في مصر قبل وجود الهكسوس إنما أخذها المصريون عن الهكسوس .

[٢]- حتشبسوت : حكمت الأسرة الثامنة عشر بين عامي (١٤٩٠ - ١٤٦٨) دخلت في صراع مع ابن زوجها تحوتمس الثالث الذي حكم بعدها وكانت سياستها الخارجية تقوم على التجارة مع الدول المجاورة لمصر .

[٣]- أحمد - محمود عبد الحميد ، دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ١٣٥ .

وقد شهدت الإمبراطورية المصرية ازدهاراً واسع النطاق على الصعيدين الداخلي والخارجي، فعلى الجانب الداخلي عادت الوحدة المصرية إلى أرجاء مصر كافة فباشرت مدينة طيبة مهمة العاصمة القوية في ربط مصر العليا والسفلى في وحدة سياسية اقتصادية, فازدهرت التجارة في كافة مجالاتها, حيث جابت القوافل المصرية أنحاء البلاد المجاورة كافة ، مثل الحملات التعدينية إلى سيناء والصحراء الشرقية, بالإضافة إلى القوافل القادمة من ساحل فينيقية المحملة بالزيوت والأخشاب والعطور، وكان الجيش المصري قد مارس دور الحارس الساهر على أمن مصر, فعزّز وجوده بتكوين جيشٍ قوي يقوده ملوك مصر الذين جعلوا من مصر قوة دولية كبرى في الشرق القديم .

أما على الصعيد الخارجي, فقد تميزت هذه الفترة بظهور تطورات جديدة على مسرح التاريخ الدولي, فتغيرت علاقة مصر مع البلاد المجاورة لحدودها من الشرق والغرب, والتي كانت لا تحمل أي صفة سياسية بل الأحرى كانت لا تشكل أي قوة عسكرية هامة، فاكتفت مصر بحماية حدودها بإرسال الحملات التأديبية والسفارات الدبلوماسية لتنظيم التبادل التجاري مع تلك الدول إلى أن تغيرت موازين القوى السياسية مع الشرق مع بدء القرن الرابع عشر ق م, حيث ظهرت ثلاث قوى عظمى متصارعة هي: مصر – الدولة الميتانية– الدولة الحثية .

تلك هي الدول التي وزّعت نفوذها في المنطقة, وأقامت علاقات مابين التقدم والتراجع, إلى أن تبدّلت موازين القوى الدولية, بسبب نشوء الاحتكاك المباشر بين تلك الدول بعد توازن استمر أمداً طويلاً بوجود فراغ كبير بسبب السباق بين الممالك [١٢٤] .

[١٢٤]–فرزات – محمد حرب , مرعي – عيد , دول وحضارات في الشرق العربي القديم , دار طلاس , دمشق ,١٩٩٩ , ص ١٥٩ .

أما التوازن الجديد, فقد نشأ عن تزاحم هذه القوى أو تصارعها مع بعضها من أجل اقتسام النفوذ في المناطق الاستراتيجية للمحافظة على أمن كل دولة على حساب الأخرى, وحماية مصالحها الاقتصادية والتجارية ،حيث كان الوضع شديد الحساسية لدرجة أن أي صدع في علاقة أي من العلاقات كان يؤدي إلى انهيارها برمتها.

وهنا نستعرض موجزاً بسيطاً عن وضع هذه القوى وعلاقاتها مع بعضها البعض, ثم نحدّد علاقة كل واحدة مع مصر، فمثلاً استطاعت الدولة الحورية الميتانية أن تمدّ نفوذها امتداداً واسعاً من البقاع السورية الشمالية لإيقاف الزحف المصري في المنطقة نفسها ، ولكن خاب أملها بسبب تعاظم قوى ملوك الدولة الحثية, التى دفعتها إلى التراجع عن الحدود والتآلف مع مصر ، ومن جهة أخرى تصاعدت قوة الحثيين؛ التي أقلقت مضاجع كل من مصر والميتانيين ، وكذلك حافظت مصر على علاقات ودّية مع آشور وبابل عن طريق تبادل الرسائل والهدايا والزواج [١٢٥] من أجل الحصول على مكاسب سياسية واقتصادية .

وكان الساحل الفينيقي مؤشراً دقيق الحساسية بعكس ظروف الوضع الدولي الذي كان دوماً يُمارس على أرضه, وضمن مجاله السياسي وباعتباره ذو أهمية إستراتيجية أمنية واقتصادية, فتكالبت على سيطرته الدول الكبرى بالتناوب حسب قوة كل دولة التي تتأرجح بين القوة والضعف, أمام الخصوم المجاورة .

[١٢٥]–فرزات – محمد حرب , مرعي – عيد , المرجع السابق , ص١٥٩ , ١٦٠ .

٢- العلاقات التجارية المصرية الفينيقية خلال الأسرة الثامنة عشرة :

بعد الحديث عن الأوضاع الدولية عند قيام الدولة المصرية الحديثة, وقيام الصراع بين الدول الكبرى على منطقة بلاد الشام ، وأهمية هذه المنطقة اقتصادياً لكل الدول عامة ومصر بشكل خاص ، فلا بدّ من عرض ودراسة العلاقات التجارية بين مصر وسورية, وذلك اعتماداً على النصوص والآثار المُكتشفة في كلٍّ من مصر وفينيقية في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

. العلاقات التجارية في عهد أحمس الأول (١٥٧٥- ١٥٥٠) ق.م .

عندما كُتب للملك المصري أحمس الأول النجاح في السيطرة على حات وعرة(أفاريس) [١٢٦] عاصمة الهكسوس, وطردهم منها, ومحاصرتهم في مدينة شاروهين [١٢٧] مدة ثلاثة أعوام حيث نجح في إجلائهم عنها ومطاردتهم حتى جاهي [١٢٨] في لبنان. وهذا يعني أنّه أجلا الهكسوس عن المناطق التي سكنوها ولجؤوا إليها , وبالتالي فإنّه استطاع أن يؤمّن حدود مصر الشرقية من الهجمات الخارجية, وكذلك تأمين مصالح مصر الاقتصادية مع فينيقيا, وهناك ما يشير من النصوص المصرية بأنّ النفوذ المصري عاد إلى فينيقيا في عهد أحمس الأول, ومنها نذكر النصّ الذي يقول : (الحجر مسحوب بماشية مما استولى عليه جلالته من أراضي الفنخو).[١٢٩] وهناك نصٌّ آخر يشير إلى استخدام ستة ثيران في محاجر معصرة في جنوب القاهرة، ومن هذه النصوص نستنتج أن هذا الملك استطاع أن

---

[١٢٦]- أفاريس : هي عاصمة الهكسوس ومدينة صان الحجر الحالية . التابعة لمحافظة الشرقية , تقع على بعد ٢٠ كيلو متر إلى الجنوب من مدينة المنزلة الحالية .

[١٢٧] - شاروهين : مدينة في جنوب فلسطين كان قد لجأ إليها الهكسوس بعد طردهم من مصر .

[١٢٨]- جاهي : اصطلاح جغرافي استعمل في الدولة المصرية الحديثة للإشارة إلى السهل الفينيقي أو إلى سورية .

[١٢٩]- بيومي – محمد مهران , حركات التحرير في مصر القديمة , دار المعارف , القاهرة , ١٩٧٦ , ص ١٠١ .

يعيد علاقات الصداقة مع فينيقيا, ومعظم المدن السورية لضمان طرق التجارة إلى كريت والعالم الإيجي. [١٣٠]

. العلاقات التجارية في عهد تحوتمس الأول (١٥٢٨- ١٥١٠ ق م).

يُعدّ الملك تحوتمس الأول من الملوك العظام الذين حاربوا في بلاد الشام, وتذكر الكثير من النصوص وصوله إلى أقصى شمال بلاد الشام حتى حدودها نهارينا [١٣١] على الفرات؛ (المياه المعكوسة) التسمية المصرية للفرات الذي تجري مياهه بعكس مياه نهر النيل. وكذلك تذكر النصوص أنّه أمر بوضع نصبين له على ضفّتي الفرات تشعر بفوزه, ومايؤكد قيام علاقات تجارية بين فينيقية مصر في عهد هذا الملك, وجود كميات كبيرة من خشب الأرز وساريات الصنوبر, وكذلك أخبرنا إنني [١٣٢] أنّ أعمدة قاع ة معبد الكرنك العظيمة كانت من خشب الصنوبر, وأنّ ساريات أعلام البيلونات التي أقامها تحوتمس الأول في الكرنك من خشب الصنوبر الجديد ، كما جاء في نصب أبيدوس أن الملك بنى زورقاً مقدسّاً من خشب الأرز . [١٣٣]

أمّا فيما يتعلق بالعلاقات في عهد تحوتمس الثاني فلم تذكر المصادر قيام أي علاقات تجارية بين مصر وفينيقية ، على الرغم ما جاء على لسان قائد تحوتمس الثاني العسكري أحمس بن نخبت ؛ أنّه صحبَ الملك إلى سورية, وأخذ العديد من الأسرى . [١٣٤]

العلاقات التجارية في عهد الملكة حتشبسوت (١٤٩٠ – ١٤٦٨ ق . م)

---

[١٣٠]- مرعي – عيد , التاريخ القديم , ص ١٩٨ .

[١٣١]– نهارينا : تسمية أطلقها المصريون على الشعوب أو الدولة الحورية الميتانية .

[١٣٢]–إنتي : هو المشرف المعماري على المنشآت الملكية في عهد تحوتمس الأول .

[١٣٣]–أحمد – محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ١٣٧ .

[١٣٤]–حتي – فيليب , تاريخ سورية ولبنان وفلسطين , دار الثقافة , بيروت , بلاتا , ص ١٣٩ .

استطاعت حتشبسوت لما لها من شخصيةٍ قويّة أن تستمر كحاكمٍ وملك طيلة اثنتين وعشرين عاماً, وتسعة أشهر, مطلقةً على نفسها الألقاب الملكية الكاملة, كما آثرت السياسة السلمية, واهتمّت بأمور البلاد الداخلية, فتميز عهدها بإنشاء الكثير من المباني العمرانية الهامّة, ومن أهمّها وأعظمها معبدها (الجنزي) الشهير باسم (معبد الدير البحري)[١٣٥]

أدّت سياسة حتشبسوت السلمية إلى تمرّد البلاد الآسيوية ضد الحكم المصري, فمن المعروف أنّ امتداد النفوذ المصري في سوريا – عندما وصلت حتشبسوت إلى الحكم– قد وصل إلى جبال لبنان شمالاً, وعندما لم يرَ الحكّام السوريون – طيلة فترة حكمها – أيّ أثرٍ لجيشٍ مصري هناك, اغترّوا وجمعوا كلمتهم بزعامة ملك قادش معلنين العصيان على ملك مصر, وانفصالهم عن الإمبراطورية . وامتدّ العصيان ليشمل جنوب سوريا المعروفة لدى المصريين باسم (زاهي) .

وشجّعت مملكة ميتاني القوية في شرق الفرات هؤلاء, وساعدتهم على العصيان والتمرّد على فرعون مصر . [١٣٦]

على الرغم من أنّه لم تكن هناك نصوص قد وضّحت قيام أي نوع من العلاقات لهذه الملكة مع فينيقيا إلا أنه قد ذُكرت رحلاتها التجارية مع بلاد البونت (الصومال حالياً), وذلك من خلال المنحوتات التي كانت منقوشة على جدران معبدها (الدير البحري) تظهر أسطولاً مصرياً يدخل ميناء البونت.

وأخيراً يجب أن نذكر بأنّ المصريين خلال رحلاتهم التجارية الطويلة كرحلات البونت كانوا يستخدمون السفن المصنوعة من خشب الأرز الفينيقي, وهذا دليل بأنّ تجارة الخشب لم تنقطع بين مصر وفينيقيا خلال عهد الملكة حتشبسوت على الرغم من عدم ذكرها في نصوصٍ واضحة .

---

[١٣٥]–محمد – علي سعد الله , في تاريخ الشرق الأدنى القديم , سوريا ومصر , مركز الإسكندرية للكتاب , مصر , ٢٠٠٥ , ص٥٧ .

[١٣٦]– بريستيد – جيمس هنري , ترجمة : حسن كمال , مكتبة مدبولي , القاهرة , ١٩٩٠ , ص ١٨٧ .

. العلاقات التجارية في عهد تحوتمس الثالث (١٤٦٨ – ١٤٢٥) ق م .

لقد تبيّن لنا مما سبق أنّ من يسيطر من الدول الكبرى (الحثية– الحورية الميتانية) على الساحل الفينيقي, هو من يمسك بميزان القوى في المنطقة ، ولمّا كان الأمر كذلك ، فقد اتّبع تحوتمس الثالث سياسة المهادنة مع بلاد النوبة مما مهد له الهدوء على الحدود الجنوبية ليلتف باهتمامه إلى بلاد الشام الذي كان يشكل خطراً حقيقياً لمصر ،وخصوصاً بعد ضعف النفوذ المصري في بلاد الشام خلال عهد الملكة حتشبسوت, ولا سيما استغلال الدولة الميتانية فرصة الهدوء والسلام في عهد حتشبسوت في السياسة الحربية, فلجأت إلى تكوين تحالف معها ضد مصر يرأسه ملك قادش؛ الذي حرّض أكثر من مرّة شعوب دويلات بلاد الشام ضد المصريين, فاضطرّ تحوتمس الثالث للقيام بسبع عشرة حملة حربية للقضاء على التحالف الخطير ضدها .[١٣٧]

وقد حملت هذه الحملات أهدافاً مختلفة ، فمنها تأديبية للدول المتصارعة مع مصر, مثل الدولة الميتانية في الحملة العاشرة, وتأديب البدو في فلسطين في الحملة الرابعة عشرة . وأشهر الحملات, تلك التي قادها ضد التحالف الذي قامت به الإمارات السورية الممتدة من شارهين في الجنوب, حتى نهر الفرات في الشمال في معركة مجدو عام (١٤٦٨ ق م)؛ حيث استطاع تحوتمس الثالث أن يحطّم هذا التحالف, لما يملكه من حنكة عسكرية, وهمّة عالية مع خبرة قتالية في تخطيط سير المعركة الذي بدأ من حصن ثاروا, وانتهى عند جنوب قلعة مجدوا لمواجهة الاتحاد الذي

[١٣٧]–السيد – رمضان , تاريخ مصر الفرعونية , ج٢ , وزارة الثقافة , القاهرة بلاتا , ص ٧٧ .

يرأسه [١٣٨] أمير قادش وفي النهاية انتصر تحوتمس الثالث على كل المتحالفين ضده, ويعود سبب انتصاره إلى عدة عوامل :

١- وحدة الصفّ المصري الداخلي .

٢- التفاف قادة مخلصين حوله, مثل القائد أممحاب, الذي ضرب خرطوم الفيل بسيفه, فقطعه ، وكان على وشك أن يفتك بالملك عند مستنقعات نهر الفرات . والقائد جوتي الذي فتح مدينة يافا في فلسطين.

٣- إنشاء أسطول حربي استطاع أن يزيد من سيطرة مصر على الساحل الفينيقي والذي قدّم الفتوحات الكبرى.

٤- زيادة نمو الشعور الوطني والديني, والثقة بقوة تحوتمس الثالث ؛ الذي كسب رضا الكهنة ، فأمدّوه, وأنشدوا في المعابد نشيداً يخاطب فيه الإله ابنه فيقول: " لقد عبرت مياه النهر العظيم لنهارين بالنصر والقوة اللتين منحتُهما لك ،إنهم يسعون حرقتك للحرب, ويزحفون إلى أوكارهم وتدخل رهبة جلالتك قلوبهم" .[١٣٩]

أمّا الحملات اللاحقة, فكانت من أجل جمع الجزية من سكان سورية والساحل الفينيقي, مثل اللازورد والعبيد من الجنسين, والخيول مع العربات, والأخشاب لصناعة السفن, وبعض هذه الحملات كانت عبارة عن استعراضٍ لقوته العسكرية من أجل تفقد أحوال الناس أمنياً . وشنّ تحوتمس الثالث حروباً ضد أرواد,حيث كان الوقت خريفاً والأشجار محمّلة بالفاكهة, وأخذ الجنود يدهنون أجسادهم بزيت

---

[١٣٨]-مجدو : منطقة تل المتسلم حالياً على الحافة الجنوبية لسهل جزريل وهو مرج ابن عامر من الناحية الشرقية من جبال الكرمل ويعني اسم مجدو الحصن وهو مهم جداً لتحكمه في الطرق التجارية الذهبية نحو الساحل الفينيقي .

[١٣٩]-فرزات – محمد حرب , مصر القديمة وحضارتها , دمشق , ١٩٨٢ , ص ١٧٧ .

الزيتون,وكأنّهم في عيدٍ بمصر . وهذا يدلّ على رواج تجارة زيت الزيتون في مصر لحبّ المصريين له, فأسر عبداُ ً وتسع عربات مشغولة بالفضة والذهب والعاج [١٤٠].

ومما سبق نستنتج بأن علاقات سورية بشكل عام وفينيقية بشكل خاص, كانت علاقات تبعية مع مصر, ولكن على الرغم من ذلك كان هناك الكثير من الشواهد والأدلة التي تدل على وجود العلاقات التجارية فيما بينهم في عهد تحوتمس الثلث وهذا يعني أنه عندما أراد عبور نهر الفرات لمحاربة الدولة الميتانية, أمر بإنشاء الأسطول في الحملة الخامسة في مدينة جبيل, وقد تمّ نقله من جبيل عبر الصحراء، وكذلك مما يدل على عمق العلاقات التجارية في عهد هذا الملك, أنّ وزيره المدعو س– نفر ذهب إلى منطقة جبيل لإحضار خشب الأرز, وهناك صعد إلى مرتفعات جبل لبنان, حيث أشجار الأرز, وقدّم النذور لآلهة مدينة جبيل ليكسب رضاها وبركتها عن صفقة الأخشاب ؛ التي سيأخذها من منطقتها . وقد سجل هذه الواقعة في قبره المُكتشف في طيبة رقم (٩٩), حيث جاء عنها ما يلي : (فوق السحاب دخلت الغابة (وقد تسببت) أن يقدم له التقدمات المؤلفة من ملايين الأشياء بالنيابة عمّن له الحياة والأزهار والصحة لجلالتك في بيبلوس, واستطعت أن أعطيهم إلى سيدتها (آلهة جبيل من أجل سعادة قلبها وقد أحضرت أخشاباً بطول ٦٠ ذراعاً) .

ثم يذكر أنه أحضر كميات عظيمة من الخشب من مرتفعات جبال لبنان, حيث تمّ شحنها ونقلها بواسطة البحر إلى مصر, وقد جرت له ريح مناسبة مما ساعده في وصولها إلى مصر في وقت قصير . [١٤١] وكان أسطول تحوتمس الثالث الحربي قد صُنع من خشب الأرز, إذ كان المصريون يصنعون سفنهم التي تُستخدم في الإبحار إلى جُبيل من خشب الأرز السوري, وهذا دليلٌ يؤكّد وجود تجارة الخشب بين مصر

---

[١٤٠]–أحمد – محمود عبد الحميد , المرجع السابق , ص ١٧٠ .

[١٤١]–أحمد – محمود عبد الحميد , سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التاريخ , مطبعة ابن حيان , دمشق ١٩٨٥ , ص ٢٠٦ .

والساحل السوري, على الرغم من أنّ تحوتمس الثالث كان محتلّاً للساحل, فقد كان المصريون يدفعون ثمن الخشب رغم هذا الاحتلال .

وفي هذه الفترة اتسعت أيضاً تجارة أوغاريت بفضل الأمن الذي ساد الطرق التجارية براً وبحراً ، وقد دلت الحفريات في أوغاريت على أن حيّاً جديداً شُيّد في هذه الفترة بالقرب من مرفأ أوغاريت, يضمّ دور السكن والقبور والمخازن ومستودعات حقيقية مؤلفة من عدة أماكن, وتدل الآثار المكتشفة فيها على أنها كانت طافحة بالبضائع بدليل أنه وُجد في غرفةٍ أكثر من ثمانين جرة مرتبة بصفوف متقاربة, وكذلك اكتشفت مجموعة من القوارير الصغيرة والأواني المصنوعة من الحجر الأبيض حسب الطراز المصري . [١٤٢]

وشملت بضائع أوغاريت التجارية المنتجات الزراعية ، كالحبوب وزيت الزيتون والخمر والعسل, وكان مصدرها من المناطق المحيطة بأوغاريت وكذلك المعادن والقصدير والنحاس والرصاص ومصدرها خارجي (أوربا) . ويضاف إلى ذلك الأنسجة الأرجوانية ومنتجات بعض الورش الصناعية من المصنوعات البرونزية وغيرها.[١٤٣]

وكذلك كان لمدينة أرواد علاقات تجارية مع مصر في عهد تحوتمس الثالث, فقد اتخذها قاعدة لأعماله العسكرية, عندما غزا المدن الفينيقية التي شقّت عصا الطاعة للفراعنة المصريين عندما لمسوا في أنفسهم القوة ، وقد ازدهرت التجارة في أرواد بفضل أسطول تحوتمس الضخم الذي رسا فيها, وقد استطاع فرض الأمن والطمأنينة . ويذكر ذلك في بيانه عن سقوط المدينة التجارية العظيمة في يده فيقول: " انظر, إنّ جلالته قهر أرواد ، وما فيها من قمح, وقطع جميع أشجارها الجميلة . انظر فقد

---

[١٤٢]–سعادة – جبرائيل , رأس الشمرا , آثار أوغاريت , دمشق ١٩٥٤ , ص ٣٤ .

[١٤٣]– مرعي – عيد , التاريخ القديم , ص ١٢٤ .

كان فيها كل محاصيل بلاد زاهي ، لقد كانت جنائنهم ملأى بثمارها، وخمرها, وقد كانت في معاصرهم كالمياه الجارية ، وحبوبهم على الحلول التي كانت أكثر من رمال الصحراء ، وقد غمر الجيش بالحصة التي نالها" . [١٤٤]

وهذا النص يمدّنا بمعرفة على غنى أرواد بالمنتجات والبضائع التي تجعلها قاعدة تجارية مهمة بالنسبة للمصريين, واتخاذها قاعدة عسكرية لجيش مصر من قبل تحوتمس الثالث . وهناك العديد من النصوص التي تدلّ على التبادل التجاري بين سوريا ومصر . (الشكل ٨)

. العلاقات التجارية في عهد امنحوتب الثاني (١٤٢٧- ١٤٠١ ق م) :

[١٤٤] -الصفدي – هشام , الحضارة الكنعانية الفينيقية , دمشق ١٩٧٤, ص ٨٣ .

خلف امنحوتب الثاني أباه في حكم مصر, فواجه في بداية حكمه تمرّد المقاطعات السورية، وهذا ما جعله يرسل حملتين إلى سورية ، الأولى في السنة السابعة من حكمه, والثانية في السنة التاسعة . وكانت الحملة لضرب زعماء الثورة مع تخريب أراضيهم مثل أرض (شمش أدوم) [١٤٥] وغنم منها بسيفه ثلاثين أسيراً واثنين وعشرين ثوراً, ثم عبر نهر العاصي بشجاعة فائقة, حيث قضى على جماعة من أهل المنطقة وأسر زعيمين من رؤساء العشائر, ومن أشراف القوم مع خيولهم وسلاحهم [١٤٦].

ونجد في حروب امنحوتب الثاني في سورية, بأنها لم تكن سوى حملات تأديبية للمدن السورية التي امتنعت عن تأدية الجزية بعد وفاة والده تحوتمس الثالث, ولذلك لم يكن هدفه التوسع والفتح ؛ لأنّ الإمبراطورية المصرية في سورية كانت قد وصلت في عهد أبيه أقصى اتساعها . وأخيراً يمكن أن نستخلص بأن العلاقات بين مصر وسورية في عهد هذا الملك كانت عبارة عن علاقات تبعية, حيث تأخذ مصر من المنتجات السورية ما تشاء ، ولكن هذا لم يكن ليمنع وجود علاقات تجارية فيما بينهما ؛ لأن غاية مصر من اتساعها في سورية غاية أمنية واقتصادية بالدرجة الأولى.

. العلاقات في عهد تحوتمس الرابع (١٤٠١- ١٣٩١ ق م) :

[١٤٥]–شمش أدوم : الشمس الحمراء وقد ورد اسمها في قائمة البلدان التي فتحها تحوتمس الثالث في سورية ويعتقد أنها (تل أدما أو خربة أدما) وتقع على بعد ١٨ كم شمال شرق حمص .

[١٤٦]– برنهرات–كارلهاينز , لبنان القديم , ت : ميشل كيلو , سورية , ١٩٩١ , ص ٩٠ , ٩٨ .

تسلّمَ عرش مصر بعد امنحوتب الثاني تحوتمس الرابع؛ الذي وجد أن الإمبراطورية في أوج قوتها الاقتصادية والعسكرية ، لذلك لم يفكر تحوتمس الرابع في تجديد الحملات العسكرية على سورية، إلّا للقضاء على عصيان قام في سورية والساحل الفينيقي لإقناع ملوكها بدفع الجزية المطلوبة أو لتأديب القبائل البدوية التي تنتهز فرصة الضعف المصري وتبدأ بالهجوم على أراضيها .

وفي بدء عهده نشبت في سورية ثورة من قبل الميتانيين ضد النفوذ المصري ، استدعته للذهاب إليها للقيام بحملة تأديبية وعلى الرغم من قلة المعلومات عن هذه الثورة ، فقد ذكرت نقوش جدار معبد أمون أنّه أخذ جزية من تلك البلاد مع إخضاع الثائرين لنفوذه آنذاك .

وهناك دلائل تشير إلى قيام علاقات تجارية مع فينيقية أو ربما يعتبرها البعض علاقات تبعية ؛ لأن الملوك المصريين خلال قمعهم للثورات في سورية, كانوا يحصلون على المنتجات السورية كغنائم أو كجزيات تُفرض على أمراء المناطق السورية ، ولكن على الرغم من ذلك كان هناك نوع من تبادل المنفعة الاقتصادية بين كلا الطرفين ، والدليل على ذلك يذكر تحوتمس الرابع أنه عندما رجع من سورية بعد قمع ثوراتها قد عاد على طريق الساحل الفينيقي, وأنه أمر حكامه أن يقطعوا له خشب الأرز الذي شحنه إلى طيبة ليشيّد منه سفينة مقدسة للإله أمون.[١٤٧]

وهناك دلائل تشير إلى وصول البضائع السورية إلى مصر في كل عام عن طريق الجزية في عهد هذا الفرعون مثل مناظر قبر " خع م حات "[١٤٨], حيث يرى فيها الفرعون تحوتمس الرابع جالسٌ في محراب إلى اليسار وأمامه أوانٍ من الصناعة

---

[١٤٧]–احمد – محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ١٨٠ .

[١٤٨]–خع م حات : رئيس الخزانة المصرية في عهد تحوتمس الرابع وامنحوتب الثالث .

السورية الفاخرة من الذهب والفضة, وخلف كل هذا نرى أمراء آسيويين ساجدين أمام الفرعون . [١٤٩]

وكذلك نجد منظراً مماثلاً في مقبرة الضابط " تانني " في عهده نجد فيه تقديم الأقاليم الشمالية ، الفضة والذهب والفيروزج وكل حجر ثمين . وكانت مصر في عهد هذا الملك قد سلكت سبيلاً جديداً في علاقاتها مع الدول مثل الميتانية ؛ وهي علاقات الزواج السياسي للوقوف في وجه دول منافسة أخرى مثل الدولة الحثية فإنّ مثل هذه العلاقات من شانها أن تشجع قيام العلاقات الودية, وتبادل المنافع الاقتصادية والأمنية بين الدول.

. العلاقات التجارية في عهد امنحوتب الثالث (١٤٠٥- ١٣٦٧ ق م).

[١٤٩] – B.A.R, Breasted,J,H,Ancient Records of Egypt,Vol ,2 chicago,1907. P19

اعتلى امنحوتب الثالث عرش مصر نحو عام ١٤٠٥ ق م, وتربع بذلك على عرش أعظم إمبراطورية في منطقة الشرق القديم, وقد نعمت مصر في عهده بالاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي ، فلا يوجد في المنطقة من يتحدّى مصر أو ينازعها على سيادتها في إمبراطوريتها . وقد سعت كل شعوب المنطقة تخطب ودّ وصداقة مصر وتحمل الهدايا إليها . وكانت الشعوب التي وقعت تحت نفوذها تحمل جزاها من الذهب والفضة والتحف والعبيد, لتقديمها إلى فرعون مصر . وأقام امنحوتب الثالث علاقات جيدة مع دول ومدن مناطق سورية ، حيث تزوج من ابنة الملك الميتاني(شوتارنا), والتي كانت تدعى (جيلوخيبا) والتي كانت قد أحضرت معها إلى مصر هدايا ضخمة وحاشية مؤلفة من (٣١٧) امرأة بين وصيفة وخادمة [١٥٠] ، وهذا ما أكد العلاقات الودّية بين مصر والدولة الميتانية في تلك الفترة .

أمّا عن علاقة مصر مع المملكة الحثية في عهد هذا الملك, فقد اختلف كثيراً عن علاقتها ببقية الأمم ، حيث كان يخطب ودّها الكثير من الدول, فإنّ الملك الحثي (شوبيلوليوما) عامل امنحوتب الثالث ببرود شديد [١٥١], ثم بدأ يدسّ دسائسه في منطقة الساحل السوري وشمال سورية ، فكل الاضطرابات التي كانت تقوم في تلك المنطقة كانت بتحريض منه ، وكان حليفه في المنطقة (عبدي عشرتا) ملك الأموريين ، وهذا ما أوضحته لنا رسائل تل العمارنة ، التي كانت عبارة عن رسائل يرسلها أمراء وحكّام المدن الفينيقية إلى الملك امنحوتب الثالث يشتكون فيها تصرفات أعدائه في سورية, ويطلبون منه الدعم اللازم للقضاء عليهم.

---

[١٥٠]–أحمد– محمود عبد الحميد ,المرجع السابق , ص ١٨٥ .

[١٥١]– H,R,Hall, Egypt and the External Worldin the time of Akhenaten,London,P.39

وهذه الرسائل أوضحت الحالة الحقيقية والمعنوية للمدن الفينيقية, حيث كانت أرواد وسميرا وصيدا معادية لمصر، وكانت صور وجُبيل ملتزمة الطاعة ، أما أوغاريت فقد كان بُعدها إلى الشمال يجعلها تؤثر التقرب من الحثيين .

وكانت محتويات الوثائق التي أُكتشفت, تدل على أنّ امتلاك مصر لفينيقية كان مزعزع جداً على الرغم من التبعية التي كانت مفروضة عليها, فقد كان أعداؤها الأقوياء يتسربون بنفوذهم إلى داخل فينيقية, ويتخذون فيها أعواناً ويستغلون قربهم من البلاد لتفويض السيادة المصرية دون إعلان حرب ، وكانت رسائل العمارنة أيضاً عبارة عن صرفة تحذير طويلة أرسلها حكام فينيقية لينذروا سادتهم بماُ يدبّر لهم من المكائد ، وكل رسالة كانت تنتهي بطلب العون والإمداد من الملك المصري للانتصار على أعدائه . [١٥٢]

وكذلك تؤكد هذه الرسائل على فقدان حالة الأمن السائدة في فينيقية أيام أمنحوتب الثالث, ومن هذه الرسائل رسالة حاكم جبيل رب عدي إلى امنحوتب الثالث, حيث يقول في الرسالة رقم (٦٠) : " من رب عدي إلى سيدي الملك, ألقي بنفسي بين قدمي سيدي سبع مرات وسبع هاأنذا سمعت كلام سيدي الملك, فانشرح به قلبي كثيراً، وليعجل سيدي بإرسال الجند على جناح السرعة ، فإذا لم يرسل سيدي الملك جنداً نموت, وتُؤخذ معنا مدينة جبيل ، وهي الآن كما كانت في الأمس وقبل الأمس في قلق والآن وأمس وقبل أمس مازال الناس يقولون ليس لدينا جنداً وأنا لامنجد لي إذا لم تسر لنحاربهم معاً " [١٥٣]

---

[١٥٢]–كونتنو–ج– الحضارة الفينيقية , ترجمة: محمد عبدالهادي شعيرة , الهيئة العامة للكتاب , مصر , ١٩٩٧ , ص ٧٠ , ٧١ .

[١٥٣]–أحمد– محمود عبد الحميد , سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التاريخ , ص ١٤٣ , ١٤٤ .

إذاً هذه رسالة تؤكد مدى ولاء مدينة جبيل لمصر, ومدى زعزعة النفوذ المصري فيها ، وكذلك كتب أمير مدينة صور أبي ملكي عشر رسائل إلى امنحوتب الثالث يطلب فيها النجدة ضد أعداء الملك ، ما يدل على ولاء مدينة صور لملك مصر.

أما الملك الصيداوي زيمردا, فقد كان متحالفاً مع عبدي عشرتا أمير الأموريين حسب الرسائل التي كان يرسلها " أبي ملكي " ورب عدي ، ولكن زيمردا لم يكن ينقطع عن الادلال بولائه لمصر, وهذا ما تؤكده لنا رسالته إلى امنحوتب الثالث حيث جاء فيها : " إلى سيدي الملك وإلهي وشمسي ونفس حياتي ، وعند قدميْ سيدي وإلهي أسجد سبع مرات وسبعاً ، واعلمْ يا سيدي أنّ صيدا مطمئنّة خادمة لسيدي الملك الذي أودعها بين يدي ، ثم أنني عندما علمت برسالة سيدي الملك التي كتبها إلى عبده فرح قلبي ، ورفعت رأسي وبرق الدمع في عيني عند رسالة سيدي الملك ، واعلم أيّها الملك أنّي أقود جند سيدي الملك, وأنّي أنفّذ كلّ ما يأمر به, واعلم أيها الملك أن لي أعداءً أقوياء وأن كل المدن التي أولانيها الملك سقطت في يد(اللصوص) [١٥٤], فهل يأذن الملك أضع نفسي تحت حماية قائد جنده لاسترداد البلاد التي سقطت في يد اللصوص ، ولأستعيد قبضي عليها ولأمضي في خدمة سيدي الملك كما خدمة آبائي من قبل) [١٥٥].

وهكذا بعد أن اطمأنّ امنحوتب الثالث إلى ولاء حكام الإمارات السورية, وأن قوة مصر لا تدانيها قوة, وأن إمبراطوريته راسخة البنيان موطدة الأركان تفرغ إلى مشاريعه الاقتصادية والعمرانية, حيث أقام علاقات تجارية وطيدة مع المدن الفينيقية على الرغم من تبعية هذه المدن لمصر في عهده ، وهناك أدلة كثيرة تشير إلى أن

---

[١٥٤]– اللصوص : هي قرأت هكذا أو ربما تعني القتلة وقال بعض العلماء ربما يقصد بهم العبرانيون .

[١٥٥]– كونتو.ج , المرجع السابق , ص ٧٢ .

هذه العلاقات, فمثلاً عُثر في القبر رقم (١٦٢) الخاص ب " قن أمون"[١٥٦] (الشكل ٩) على نقوشٍ لعدة سفن سورية تفرغ بضاعتها على رصيف أحد الموانئ المصرية، فكانت البضائع عبارة عن جِرار الخمرة أو الزيت وثورين من سلالة أجنبية لهما حدبة، وطاسات, تحوي على مواد مختلفة الأنواع غالية الثمن ،وعينات من صناعة– صائغ على شكل أوان مصنوعة من معدن ثمين (كل هذا كان من الناحية اليسرى).

أما الناحية اليمنى للرسم, فنشاهد إناءً له فوهة واسعة جداً, وهذا النوع هو نموذج سوري ربما كان مصنوعاً من الذهب ومزيناً بتمثال ثور واقف في وسطه ، كما يرى تاجر سوري يحمل إناء طويلاً ضيّقاً من الفضة له سدادة على شكل رأس ثور ، وتُشاهد الدكاكين المصرية على الرصيف وبداخلها بضاعة محلية كما يُشاهد عملية بيع جرّة سورية ربما كانت تحتوي زيتاً.[١٥٧]

وقد اتسعت الصلات التجارية بين مصر وسورية في عهد امنحوتب الثالث بتنظيم استغلال غابات الأرز لصالح اقتصاد الدولة المصرية ، فقد عبّر في حولياته عن سعادته بسبب كثرة دخله من الأتاوات الساحلية التي تُسلّم كل عام إلى بلاطه في موعده المحدد ، ومن الأدلة على نشاطه التجاري مع سورية أنّه بنى قصراً في مدينة منف كانت أبوابه من خشب الأرز المصفح بالذهب والمطعم بالحجر الكريم[١٥٨]

وفي أوغاريت عُثر على العديد من المصنوعات المصرية التي تدل على قيام علاقات سياسية وطيدة بين البلدين منذ الألف الثانية قبل الميلاد, وكان لا بدّ أن تُدعم هذه العلاقات بعلاقات تجارية من المستوى نفسه وعلى أيّة حال, فقد عُثر قرب مدخل معبد بعل (إله أوغاريت) على تمثالين لأبي الهول يحملان رسماً لرأس

---

[١٥٦]–قن أمون : كان حاكماً على طيبة ومشرفاً على أهراء أمون في عهد امنحوتب الثالث وقدمت البضائع له لأنه يمثل وكالة شراء ولأن مخازن غلال أمون كانت تحت إداراته .

[١٥٧] – N.D .Davies,G.andR.O.FaulKenr,A Syrian trading venture to Egypt , J.E.A,P.40

[١٥٨] – شكري – محمد أنور , العمارة في مصر القديمة , القاهرة , ١٩٧٠ , ص ١٩٩ , ٢٠٣ .

امنحوتب الثالث, وكذلك مجموعة كبيرة من المنحوتات المستوردة من مصر. [١٥٩]ومن خلال الحديث عن العلاقات التجارية بين مصر وفينيقيا خلال حكم كل من تحوتمس الثالث, وامنحوتب الثاني, وتحوتمس الرابع, وامنحوتب الثالث قد يستنتج الباحث بأنّ العلاقات ليست إلا علاقات تبعية وأنّ فينقيا ليست إلا مستعمرة مصرية تأخذ منها مصر ما يلزمها من خيرات, فعلى الرغم من ذلك لا نستطيع أن نقول بأن كل ما كان يأخذه المصريون دون مقابل, حيث هناك نصوص ورسوم تؤكد بأنّ التبادل التجاري كان قائماً خلال عهد هؤلاء الملوك المصريين, ونذكر منها أنّ وزير الملك تحوتمس الثالث (س–نفر) قد ذهب إلى جبيل وقدّم النذور لآلهتها طالباً رضاها وبركاتها عن صفقة الأخشاب التي سيأخذها إلى مصر. إضافةً إلى أنّه تمّ العثور على رسوم على جدران مقبرة قن أمون رقم ١٦٢ في طيبة تؤكّد التبادل التجاري بين مصر وفينيقيا في عهد الملك امنحوتب الثالث .

. العلاقات التجارية في عهد امنحوتب الرابع (١٣٦٧– ١٣٥٠ ق م) :

حكم امنحوتب الرابع مصر شريكاً لأبيه امنحوتب الثالث, وقد سارت الأمور في عهده كما كانت في عهد أسلافه من ملوك الأسرة الثامنة عشرة, وما عدا أنه توجّه

[١٥٩]– شيفمان . ش , مجتمع أوغاريت (العلاقات الاقتصادية والبنية الاجتماعية) , ترجمة : ميخائيل إسحق , ط ١ , دار الأبجدية , سورية , ١٩٨٨ , ص ٨٣ .

إلى الدعوة لعبادة الشمس من خلال الدعوة إلى عبادة أتون (القوة الكامنة في قرص الشمس), وأقام معبداً لأتون على مقربة من معبد الكرنك ، واحترم كل الآلهة المصرية في بداية حكمه مثل الإله رع والإله حور أختي إله السماء [١٦٠]، ولم يكن أتون الذي جعل منه امنحوتب الرابع إلهه المفضل حديث العهد في مصر, فقد كان معروفاً منذ أيام الدولة القديمة, كما ورد اسمه في نصوص الأهرام .

سمّى امنحوتب الرابع نفسه أخناتون (أي مفيد لقرص الشمس) اعتباراً من سنة حكمه الخامسة ، وكرّس جهوده وجهود زوجته (نفرتيتي)[١٦١] لخدمة الإله الجديد وألّف التراتيل والابتهالات التي تمجّده . [١٦٢]

لكنّ أمنحوتب الرابع بعد أن سمّى نفسه بأخناتون تفجّر الصراع بينه وبين كهنة الإله أمون, وأصبح من المستحيل التوفيق بينهما ، وأمر الملك بمصادرة أملاكهم وإغلاق معابدهم, وشنّ حملة على تعدد الآلهة, ودعا إلى عبادة إله التوحيد الذي هو آتن, واختار عاصمة جديدة كي يبتعد عن كهنة أمون ومتاعبهم ، واختار منطقة بين أسيوط في الجنوب والاشمونين في الشمال (مصر الوسطى) وبنى عاصمته الجديدة التي سماها (أخت آتن) ؛ أي (أفق اتن) . وبذلك بدأ الصراع بين الملك والكهنة, وأمر الملك بأن يمحى اسم أمون أينما وُجد ، لكن ما يهمنا هنا هل كانت لهذه الثورة الدينية أثر على العلاقات مع الساحل الفينيقي؟ حتى نتبين من ذلك علينا العودة إلى الرسائل التي أرسلت إلى امنحوتب الرابع من أمراء وحكام المدن الفينيقية ، ومن خلالها نستنتج مدى قوة العلاقات التجارية بين فينيقية ومصر في تلك الفترة.

---

[١٦٠]– أحمد – محمود عبدالحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ١٨٧ , ١٨٨ .

[١٦١]– نفرتيتي : زوجة امنحوتب الرابع , وقبله زوجة أبيه , وهي ميتانية الأصل ابنة الملك توشورتا .

[١٦٢]– مرعي – عيد , التاريخ القديم , ص ٢٠٣ .

وأول ما ذُكر عن أثر ثورة أخناتون على الساحل الفينيقي اقتصادياً هو عدم قدرة الأرض على الإنتاج الزراعي لعدم استقرار الأمن الداخلي, وتمرد الفلاحين بعد أن فقدوا أدواتهم, وقد تبيّن ذلك من خلال الرسالة (٦٨ التي وجّهها ربّ عدي أمير جبيل إلى أخناتون, حيث يشبه أرضه مثل الزوجة من دون زوج فيقول: "حقلي إنّه الزوجة التي بدون زوج ، وأرض جبيل المخلصة سوف تنفجر من شدة عزلتها منذ القدم) [١٦٣], وقد اضطر الفلاحون إلى بيع أدواتهم الخشبية والمعدنية الزراعية نتيجة العزلة المفروضة عليهم من قبل مدينة أريموتا[١٦٤] ، حيث يقول رب عدي في الرسالة (٨٥) :

" انتهت الأدوات الخشبية للبيوت لأنهم أعطوها لأرض أريموتا من أجل الحفاظ على حياتهم " .

وكان الوضع الاقتصادي قد تأزّم في مدينة جبيل لقلّة القوى البشرية واليد العاملة في العمل الزراعي والصناعي, فيشتكي ربّ عدي من سوء الوضع, ويطلب من الملك بأن يمدّه بقوة بشرية حوالي ٤٠٠ رجل ومعهم ٣٠ زوجاً من الخيول

فيقول في الرسالة (٩٥) : " أرسل لي ٤٠٠ رجل و٣٠ زوج من الخيول ".

واشتدت الأزمة الاقتصادية في جبيل بسبب تأزم الموقف السياسي ، فدفعت رب عدي إلى بيع أدواته – وهي الفؤوس النحاسية – إلى ملك صور من أجل الحصول على السلامة والنجاة ويقول رب عدي في الرسالة (٩٥) :

" ليس في جبيل فؤوس نحاسية في ممتلكاتي التي أعطيتها لملك صور من أجل نجاتي " .

---

[١٦٣]– Mercer , S.A .B , the tell – Amarna Tablets , vol 1 , Toronto , 1939 . p . 275 .

[١٦٤]– أريموتا : تقع في سهل عكار كانت تابعة لجبيل , ولكن عزيرو اتخذها عاصمة لمملكة أمورو .

ومن هنا نفهم بأن النحاس كان المادة المستخدمة لصناعة الأدوات الضرورية مثل الفؤوس والحراب والأواني المختلفة, ولكننا نتساءل : هل هو المادة الأساسية في الصناعة الساحلية الفينيقية أم هناك صناعات تعتمد على الذهب والفضة؟ وإن كانت الإمكانات الاقتصادية في الساحل وجبيل تسمح باستخدام الذهب في الصناعة فلماذا يتفاوض رب عدي مع ملك صور على أدواته النحاسية من أجل سلامته وكذلك سكان جبيل قد باعوا أدواتهم مقابل حماية حياتهم, ألا يدلّ هذا على ضعف البنية الاقتصادية لجبيل في فترة حكم ملوك العمارنة ؟ مع أنّنا ندرك جيداً قوة الاقتصاد الفينيقي قبل حكم امنحوتب الرابع اخناتون, وقد حرصت مصر بشتى الوسائل الاستحواذ على علاقات تجارية عالية المستوى مع الساحل الفينيقي, ولا نستطيع أن نجزم بهذه الأمور غير الجليه, لأنّنا استخلصنا ذلك من خلال موقف ربّ عدي دون أن نجد أي نصوص تظهر ردّ الفرعون المصري.

وأيّاً كان, فتاريخ جبيل الاقتصادي عبر الأزمنة الطويلة يشهد على مدى تطور النشاط الزراعي والصناعي والتجاري, وعن دوره في رفع السويات الاقتصادية العالمية من خلال موقعه الممتاز, فهل يُعقل لهذا الاقتصاد النامي أن يتدهور في مدة زمنية قصيرة دون مسببات لذلك ؟ ألا يصحّ لنا القول إنّ عدم الاستقرار السياسي والثورات, هي من المدعمات التي تقوّض القوى الاقتصادية لدى البلدان؟ لذا وعلى هذا قد تأثر الساحل الفينيقي بالفوضى الدولية التي خيّمت على شعوبه في ظل حكم أخناتون الذي انشغل بثورته الدينية عن ممتلكاته في سورية عامة .

ولما كانت صناعة السفن في الساحل الفينيقي تساهم في زيادة الدخل الوطني من خلال التبادل التجاري داخلياً وخارجياً, والذي تأثر بالتقلبات السياسية والأمنية. فكلما عمّ الأمن دولياً نشطت هذه الصناعة إلى أن صدّرت أعداداً كبيرة من السفن للدول المجاورة وانعدام الأمن عامة في عهد امنحوتب الرابع, قد أدّى إلى توقف صناعة

السفن ، وأدّى ذلك إلى تناقص عددها لدرجة أن ربّ عدي يُعلم الملك بأنه فقدَ الكثير من سفن جبيل ، حتى أنّه لم يجد سفناً جيدة وجديدة من أجل جلب الوفد المصري القادم من طرف الملك المصري فيقول رب عدي في الرسالة (١٣٨) : " سوف لا يوجد هناك سفن لأفرادك الذين سوف يحضروا إلى المدينة " . [١٦٥]

ومن آثار ثورة أخناتون على الساحل أنها أفقدت الساحل توازنه الاقتصادي بسبب خسارته من العمال والأدوات, ووسائل الإنتاج, وبعض المهن التي أفقرت أصحابها لعدم ممارستها, فأدى ذلك إلى قلة الموارد الغذائية بمختلف أنواعها نتيجة الحصار الاقتصادي الذي فرضه عبدي عشرتا على الساحل . وهذا ما أكده "رب عدي " عندما طلب من الملك المصري المُؤن الغذائية لإطعام شعبه حيث يقول في الرسالة (١٣٨) : " أعطني أي شيء من الطعام لأجلهم لا يوجد عندي أي شيء ".

وعندما أرسل رب عدي رسالة أخرى (١٥١) إلى الملك يطلب فيها المساعدة, فينصحه الملك بإرسال سفنه إلى مدينة أريموتا لإحضار الملابس والمال والطعام, فيقول رب عدي: " في وقت آخر أنت أعطيتني نصيحة أن أرسل السفن إلى أريموتا وأحضر الملابس والمال منهم ".

ومن هنا نستنتج حقيقة الأزمة الاقتصادية في الساحل وخصوصاً في جبيل بعهد أخناتون ، لا مال ولا طعام ولا لباس بسبب الحصار المفروض من الأعداء.

وفي رسالة (١٥١) نجد ملك جبيل " رب عدي " يشتكي إلى الملك من نقص القمح وهو يترجّى ويتوسّل إلى الملك من أجل إرسال السفن المحملة بالقمح للحفاظ على حياة شعبه فيقول:" من مدة سنتين أقسم لك بأن قمحي قد قلّ ليس لدينا قمح ، من

[١٦٥]- Mercer , S . A . B , ibid , vol 1, p . 284 .

أجل مساعدتنا ماذا عساي أقول للفلاحين ؟انتهى قمحهم وقمحهنّ, وأيضاً انتهت أدواتهم الخشبية من بيوتهم " [١٦٦]

من هذا النص نستنتج أنّ " رب عدي " كان يعاني من نقص القمح منذ سنتين أو ربما يقصد بأنه ظلّ سنتين يطالب بإرسال القمح من الملك وعلى ما يبدو دون جدوى تُذكر ؛ لأنّ بعد مرور الزمن قد كرّر " رب عدي " طلبه من الملك بإرسال عدد لابأس به من الرجال وأزواج الخيول, ويعاتبه لعدم إرساله القمح, في حين أنه أرسل إلى ملك عكا القمح والرجال والخيول, فيقول له في الرسالة رقم (٨١): " ليت سيدي يستمع الى كلمات خادمه المخلص ويرسل له القمح في السفن ليحفظ حياة خادمه ومدينته, ولعله يعطيني ٤٠٠ رجل و٣٠ زوجاً من الخيول مثلما أُعطيت زوراتا (ملك عكا) كي أحمي المدينة من أجلك "

ليس من المعقول أن يرسل الملك المصري المُؤن إلى ملك عكا وجبيل هي التي تعاني من العوز والفاقة, وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أن الأعداء كانوا يحاصرون جبيل, فلم يستطع أحد من رجال الملك إيصال المُؤن إليها, فليس من المعقول أن يميّز الملك بين أحد من ممتلكاته في سوريا فإن حصل هذا, فهو بسبب انشغال الملك بأمور مصر الداخلية والمؤامرات التي كانت تُحاك ضده والتي أدّت بدورها إلى ضعف نفوذ مصر في سوريا وقوة نفوذ أعدائه (امورو) التي فرضت الحصار على بعض المدن السورية .

ولقد اشتدت الأزمة الاقتصادية في الساحل الفينيقي بسبب حصاره من قبل (عزيرو)[١٦٧] حيث حاصر مدينة جبيل لمراقبة تحركات سفن الإغاثة المحتوية على كميات القمح من أجل إعاقة وصولها إلى المدن المنكوبة, مثل جبيل وسميرا ، وهذا

---

[١٦٦]- Mercer , S . A . B – ibid . vol 1 , p. 303 .

[١٦٧]- عزيرو : هو ابن عبدي عشرتا ملك الآموريين أيام امنحوتب الرابع .

ما أوضحته رسالة المندوب المصري يابا- اددي إلى المندوب المصري الآخر المدعو (ينخامو) في مصر, حيث سأله ماذا يفعل تجاه حصار عزيزو للساحل الفينيقي فيقول :

"عسكر عزيزو بسفنه في (امبيوسياجتا) [١٦٨] حتى لا يصل القمح إلى سميرا ولا يمكنني من السيطرة على سميرا ، وماذا يجب علينا أن نفعل ؟ أكتب إلى القصر أخبره عن الأمر لأنك أنت مندوب فنّان لبق في كلماتك وطلبك ".

نستنتج من هذا الحوار خوف العملاء المصريين من بطش عزيرو الذي هدّد مدينة سميرا، التي هي مركز تجمع المندوبين المصريين ونلمس أيضاً حيرة الموفد المصري ينخامو أمام ضغوط عزيرو الاقتصادية على جبيل وسميرا ، وعلى أية حال لم تكن جبيل وسيمرا وحدهما قد عانتا من الأزمة الاقتصادية أيام امنحوتب الرابع بل كان الحال كذلك في كل المدن الفينيقية مثل بيروت وصيدا وصور ، حيث علمنا من خلال الرسائل المرسلة إلى أخناتون بأن حكام هذه المدن كانوا يشتكون من الأوضاع السيئة في بلادهم, فمثلاً يقول صاحب صور أبي ملكي – في إحدى رسائله رقم (١٤٦ – ١٤٨ –١٥٥) لأخناتون, بأن ملك صيدا زيمردا قد طلب منه ماءً : " الآن انتبه رجل صيدا زيمردا يقول لي يوم بعد يوم، ولكن لم أرسل له ماءً لأنّه عدو الملك " [١٦٩]

ويعود رفض أبي ملكي لإعطائه الماء إلى العداوة القائمة بين الطرفين ؛ لأن زيمردا كان قد احتلّ إحدى المدن التي كانت ضمن أراضي أبي ملكي الذي طلب من

---

[١٦٨]– امبيوسياجتا : من المدن التي استولى عليها عزيرو في الساحل السوري بالقرب من سيمرا .

[١٦٩]– Mercer , S . A . B – ibid . vol 1,P 503.

أخناتون أن يرجع له تلك المدينة (أوزو)[١٧٠] من المحتل زيمردا ، وهي مدينة غنية بالماء والخشب والقش والفخار فيقول له :

" لعل سيدي تمنح أوزو من أجل الماء ، لخادمك من أجل كسب الخشب والقش والفخار " .

أما بالنسبة إلى بيروت لم تذكر رسائل العمارنة أخباراً على ذات الأهمية عن أحوالها الاقتصادية مثل جبيل وصور, وربما يعود ذلك إلى أن ملك بيروت قد اختصر الطريق على نفسه وشعبه, وأعلن تمرده على الحكم المصري ، وانضمّ إلى الأعداء بعد أن فقد الرجاء من الملك المصري بحثاً عن الأمن في منطقته.

أما أوغاريت فقد مارست سياسة مزدوجة بين مصر وخيتا في تلك الفترة, فعلى الرغم من علاقاتها الجيدة مع مصر التي كانت تحقق لها الربح الكثير اقتصادياً, فقد توسّعت علاقاتها الاقتصادية مع الحثيين في شمال سورية ، فازداد غناها وثراء سكانها والدليل على ذلك غنى أوغاريت وعدم معاناتها من سوء الأحوال الاقتصادية في تلك الفترة هو قيمة الجزيات التي تدفعها أوغاريت لمصر سنوياً ومقدارها ٢٠ مناً حثياً و٢٠ شيقلاً من الذهب, إضافة إلى مجموعة من الأواني الذهبية والفضية وقطع من القماش وكمية من الصوف الأرجواني الأحمر والأزرق, وتقدم إلى الملك وحاشيته وكبار ضباط الدولة المصرية ومثيلتها كانت تُقدم إلى الدولة الحثية. [١٧١]

وصفوة القول إنّ الأحوال الاقتصادية في الساحل الفينيقي أثناء ثورة أخناتون الدينية وبعدها كانت في غاية التدهور والسوء جراء تكالب القوى العظمى من أجل السيطرة عليه, وغياب السيطرة المصرية عليه وانشغال الملك في الولايات المصرية بسبب ثورته الدينية, وهذا حتماً بدوره سيؤدي إلى ضعف العلاقات التجارية بين الدول.

---

[١٧٠]– أوزو : من المدن التي كانت في محيط مدينة صور , وكان قد استولى عليها زيمردا .

[١٧١]– Mercer , S . A . B – ibid . vol . 1 . p .503 .

أما بعد موت أخناتون تسلم الحكم توت عنخ أمون [١٧٢] يبدو أن العلاقات التجارية مع فينيقيا استمرت في عهده وعهد من خلفه, والدليل على ذلك هو وجود الخشب في مقبرته التي كشفت عام ١٩٢٢م, حيث عُثر فيها على تابوت من الحجر يحتوي تابوتاً آخر من الخشب المُغطّى بالذهب, وهذا التابوت يضم تابوتاً ثالثاً مصنوعاً من الخشب المصفح بالذهب المطعم بالزجاج الملون ، وقد وُجد ضمنه تابوتاً رابعاً صُنع من الذهب وترقد فيه مومياء الملك ، وقد صنعت التوابيت الأربعة المتداخلة في سرير من الخشب المذهب ، كذلك عُثر في المقبرة على أسرّة وأرائك وعروش وصناديق وعجلات ومناضد, وغير ذلك من الأثاث المصنوعة من المعادن أو الخشب الثمين المطعم بالأحجار الكريمة وبأسلوب فني دقيق يدل على آية المهارة والبراعة [١٧٣]

إذاً إنّ وجود الخشب في مصر واستخدامه في مقبرة تون عنخ أتون ، خير دليل على استمرار العلاقات التجارية بين فينيقية ومصر ، على الرغم من انحسار النفوذ المصري على سورية أثناء حكم أخناتون وخلفائه.

[١٧٢]– توت عنخ أتون : (١٣٤٨– ١٣٣٧) هو الصهر لثاني لأخناتون وزوج ابنته (عنجس إن أمون) استلم الحكم وهو صغير السن , حافظ على ديانة أتون في بداية حكمه , إلا أنه اضطر إلى ديانة أمون بسبب الضغط عليه .

[١٧٣]– عثمان – عبدالعزيز , معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم , دار الفكر , بيروت , ١٩٦٦ , ص ١٤١ , ١٤٢ .

العلاقات التجارية الفينيقية المصرية في عهد الأسرة التاسعة عشرة

(١٣٠٨-١١٩٤) ق.م

أسّس هذه الأسرة ضابط طاعن في السن يُدعى رعمسيس الأول (١٣٠٨-١٣٠٧ ق . م), وقد كان قائداً عسكرياً سابقاً في عهد (حورمحب)[١٧٤], وربما عهد إليه حورمحب بالحكم, لأنه كان الوزير والمشرف على الخيل وقائد القلعة في عهده ، لكنه لم يدم في الحكم طويلاً, لأنه مات بعد أن حكم حوالي سنة وأربعة أشهر ، لذلك لم نسمع شيئاً عن أعماله وعلاقاته الخارجية مع سورية سوى أنه قام ببعض الأعمال

[١٧٤] –حورمحب : هو آخر ملك من ملوك الأسرة الثامنة عشرة .

العمرانية, ومنها البدء بتشييد بَهْو الأعمدة العظيم في معبد الكرنك, الذي لم يكتمل [١٧٥]، فتسلّم الحكمَ من بعده, ابنه الفرعون (سيتي الأول ١٣٠٧- ١٢٩١ق. م) ؛ الذي يُعدُّ من ملوك مصر العِظام الذين حققوا إنجازات عظيمة سواء أكان خارج مصر أم داخلها . وكان أول عمل قام به, أنه بدأ بإعادة الإمبراطورية المصرية في بلاد الشام لإعادة العلاقات إلى سابق عهدها في الأسرة الثامنة عشرة, فقد بدأ من أجل ذلك بإصلاح الطريق الحربي القديم الذي يبدأ بحصن تل أوزل عند القنطرة الحالية في شرقي مصر, ثم يتجه نحو الشمال الشرقي ليستمر على طـول الساحل الشمالي لسيناء إلى أن ينتهي عند مدينة (رفح). فقد أقام الحصون والقلاع, وحفر الآبار على طول هذا الطريق لتأمين سلامة وراحة جيوش سيتي الأول من أجل استرجاع الإمبراطورية المصرية في بلاد الشام. وتدل النقوش [١٧٦] على أن سيتي الأول حارب الشاسو (البدو), الذين كانوا يعيشون على حدود مصر الشرقية في شبه جزيرة سيناء لإعادة النفوذ المصري إلى بلاد لشام ، وكذلك تذكر النقوش أنّ سيتي الأول وصـل في حملته العسكرية الأولى (السنة الأولى من حكمه) إلى لبنان, حيث عُثر على منظرٍ, يمثّل أمراء لبنان, وهم يقطعون من أجله أشجار الأرز والصنوبر الضرورية لحاجات مصر الدينية والدنيوية .[١٧٧]

إذاً مشاهدة الأمراء وهم يقطعون الأشجار من أجل مصر, يدلّ على أنّ العلاقات بين مصر وفينيقية كانت قائمة في عهد هذا الملك .

وخلف سيتي الأول – الذي مات في عام ١٢٩٠ ق. م – رعمسيس الثاني (١٢٩- ١٢٢٤ق. م) على عرش مصر, وبدأ حكمه بمتابعة الانتصارات التي حققها والده في فلسطين, ثم مدّها إلى الشمال في سورية وفينيقيا . وفي العام الرابع من

---

[١٧٥] – عثمان – عبد العزيز , المرجع السابق , ص ١٤٥ .

[١٧٦] – هذه النقوش موجود على الجدار الخارجي الشمالي لقاعة العمد الكبرى في معبد الكرنك .

[١٧٧] – أحمد – محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ٢٠٧ .

حكمه يعبر الفرعون بقواته فلسطين وفينيقيا حتى نهر الكلب شمالي بيروت . حيث أقام نصب لوحة تذكارية ، غير أن المعركة الحاسمة كانت في العام الخامس من حكمه حوالي (١٢٨٥ ق. م) في معركة قادش ضدّ ملك الحثيين (مواتيلا) . حيث انضم إليه الكثير من أمراء سورية الشمالية وفينيقيا [١٧٨] ، وتشير الأدلّة إلى أن الفرعون قد تقدم بالجزء الرئيسي من جيشه من الجنوب عن طريق البقاع ، بينما اتخذت إحدى فرقه (فيلق ست) طريقها في أمورو في منطقة شمال جبيل, وإن كان الطريق الأكثر احتمالاً, إنما كان التوغل شمالاً عن طريق نهر الكلب ووادي اليوثيروس[١٧٩]الذي يقود مباشرة إلى قادش, والتي كانت كمكان تجمّع في إستراتيجية المعركة مما يشير إلى أن فينيقيا كانت في قبضة الفرعون أو على الأقل قد أعاد هيبة مصر فيها كاملة . [١٨٠]

ودليل الآخر على أن فينيقيا كانت على الولاء للفرعون ، وأنّ العلاقات كانت وثيقة فيما بينهم, هو وصول فرقة من الفينيقيين إلى ساحة المعركة في قادش لنصرة رعمسيس الثاني, الذي تحسّن وضعه القتالي لوجودهم ، حيث تحوّل من الدفاع إلى الهجوم, وأدى ذلك إلى هلاك بعض القادة في جيش الحثيين مثل شقيق الملك الحثي [١٨١] .

ولم يسفر اللقاء بين القوات المصرية والحثية في قادش عن معركة حاسمة غير أن أهم نتيجة لها, هي المعاهدة التي عقدت بين المصريين والحثيين, وأدت إلى حلول السلام فيما بينهم.

---

[١٧٨] – بيومي – محمد مهران , المدن الفينيقية , ٢٢٥ .

[١٧٩] – اليوثيروس : يعني النهر الليطاني في لبنان .

[١٨٠] – A.H.Gardiner,the kadsh in description of Ramsess, OXFord,1960. P.7

[١٨١] –أحمد – محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ٢١١ .

وقد تجدّدت علاقات جبيل مع مصر في زمن ملكها احيرام الذي عاصر رعمسيس الثاني, واُعتبرت جبيل محايدة بين المصريين والحثّيين . ويُعدّ العثور على آثارٍ في جبيل تحمل اسم رعمسيس الثاني دليلاً على العلاقة الوثيقة بين مصر وجبيل, وإلى استئناف جبيل أنشطتها التجارية . وعندما هاجم رعمسيس الثاني الحثّيين في معركة قادش (١٢٧٦ ق . م), مرّ في جبيل وقدّم هدية ثمينة لملكها كسباً لودّه. وكان الفرعون قد حرّر المدن الفينيقية من السيطرة الحثّية بعد معركة قادش, فكرّمته جبيل واطمأنّت إلى حمايته, ورُحِّب بإقامة معبدٍ فيها للإله المصري أمون, كما استؤنفت في عهده حركة التجارة بين مصر وجبيل بعد أن كانت قد انقطعت زمناً طويلاً . كما شيّد رعمسيس الثاني هيكل أمون في طيبة من خشب جبيل, وكان الفراعنة – في توقهم إلى الخلود, وعودة الروح إلى الجسد المحنّط يعدّون الأرز شجرةً خالدة, تتحدّى صلابتها محن الدهر . [١٨٢]

وبعد معاهدة رعمسيس الثاني والحثيين ظل الفينيقيون في جنوب أرواد مستمرين في جمع الثرواث عن طريق التجارة في ظل الحماية المصرية, وكان نوّاب الحكم المصريين المقيمين في غزة, وماجدو, وصور وصيدا, يراقبون الأمراء والزعماء المحليين ويرشدونهم, وبينما كان الأموريون في الشمال على وفاق تام مع الحثيين كان هؤلاء النواب يصدّرون أخشاب فينيقيا وغيرها من المناطق إلى مصر؛ أي أنّ المصريين كانوا يتاجرون مع المناطق الفينيقية التابعة للحثيين, ويقطعون الأخشاب منها, لكن لقاء أثمانٍ باهظة . [١٨٣] وهناك ما يؤكد أنه لا تكاد تكون هناك سلعة لم يستوردها المصريون من سورية في عهد الأسرة التاسعة عشرة, حيث استوردت

---

[١٨٢]– جبر – جميل , جبيل في التاريخ , بيت شباب , لبنان , ٢٠٠١ , ص ٨٧ .

[١٨٣]عصفور – محمد أبو المحاسن , المدن الفينيقية , ص ٣٨ .

السيوف والرماح والأواني والأوعية من أنواع مختلفة, مثل: جرار الزيت والجعة والنبيذ [١٨٤] .

وهناك ما يؤكد قيام العلاقات التجارية بين مصر وأوغاريت في عهد الأسرة التاسعة عشرة, والدليل على ذلك أنه اكتشف في بَهْو الأرشيف الملكي في أوغاريت على رسمٍ لرأس رجلٍ غير معروف, يُعتقد أنه للملك رعمسيس الثاني وكذلك عُثر في أوغاريت في الحيّ السكني شرقي القصر الملكي على سيفٍ مصنوعٍ من معدن البرونز, وطول هذا السيف الكلّي (٧٤ سم), ويحمل النصْل خرطوش الملك المصري ميرنبتاح (١٢٤٠ – ١٢١٣ ق.م) ؛ الذي خلف والده رعمسيس الثاني, وينتهي السيف بقاعدة عرضها (٥سم)٢, وله شفرتان غير مشحوذتين, وحُفرت ثلاثة حزوزٍ في وسطه . أمّا مقبض السيف فقد صُنع من مادة سريعة التلف, إذ لم يبقَ منه شيءٌ سوى أثرٍ ارتسم على الصدأ على نهاية المقبض المعوجّ (الشكل ١٠) . ووُجدت إلى جانب نصل السيف أسلحةٌ أخرى (خنجر – سنان – ورمح مثلّث الرؤوس),وهذا يدعو للاعتقاد أنّ هذا المكان كان مسكناً لتاجر أسلحة أو صانعها . [١٨٥] وربما نُقش رسم الفرعون على السيف بناءً على طلب أحد ممثليه لدى بلاد أوغاريت أو بناءً على طلب أحد المصريين المقيمين في أوغاريت بهدف التجارة .

وخلال الحفريات التي جرت في أوغاريت في عام ١٩٧٣ م, أُكتشف بالقرب من القصر الملكي الكبير بيت تعود ملكيته إلى شخص مصري أقام في أوغاريت إقامة دائمة استمرت عشرات السنين في الفترة التي سبقت انهيار القصر الملكي الكبير في

---

[١٨٤] - أرمان-أدولف , رانكيه هرمان , مصر والحياة المصرية في العصور القديمة , ص ٥٩٣ .

[١٨٥] – Schaefeer,materlaux, pou le tude des , relations entre ugaritet ,Egypt ugaritic 3 ,lome 8 . Paris , 1956, P . 172 .

القرن الثالث عشر قبل الميلاد, وكذلك وُجدت فيه قطع من أصص وأكواب وغيرها من المصنوعات المصرية . [١٨٦]

[١٨٦]– شيفمان : ش , مجتمع أوغاريت العلاقات الاقتصادية والبنية الاجتماعية , ت ميخائيل إسحاق , دار الإبجداية , ط١ , سورية ١٩٨٨ .

العلاقات التجارية الفينيقية المصرية خلال عهد الأسرة العشرين (١١٩٤ – ١٠٨٧ ق.م) :

أسّس هذه الأسرة الملك ست نخت (١١٨٤ – ١١٨٢) وحسب بردية هاريس [١٨٧] التي تقول إنّ أمور مصر في عهده كانت مضطربة, حيث أصبح كل رجل يضع لنفسه قانونه, ولم يكن هناك قائد . حيث كان الرجل يقتل صاحبه سواء أكان من الطبقة العليا أم الدنيا, وساد الظلم في البلاد نتيجة ذلك, وكان أحد الأمراء السوريين واسمه أرسو أميراً معهم, وقد جعل البلاد كلّها تحت سلطانه . وكل هذه الفوضى كانت بسبب مهاجمة شعوب البحر حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي عن طريق البر والبحر .

لكن مصر استعادت قوتها بتسلّم رعمسيس الثالث (١١٨٢ – ١١٥١ ق . م) الحكم بعد وفاة والده ست نخت, وأخذ يُعدّ العدّة لتحقيق النصر على شعوب البحر الذين بدؤوا حروبهم بالقضاء على الدولة الحثية . وكانت أهم قبائلهم (الشكلش–الوشاش–الدانو أو الدنانونا–البلست والزكار). وقد استطاع رعمسيس الثالث أن يهزمهم في فلسطين, ويقضي عليهم قضاءً مبرماً, وإعادة سورية إلى حظيرة السيادة المصرية وهذا ما يدل على أن النفوذ المصري في سورية في عهد هذا الملك كان مايزال قوياً, ما يؤدّي إلى حتمية قوة العلاقات التجارة, وخير دليل على ذلك أن الملك رعمسيس الثالث عندما يذكر الغنائم التي وهبها للمعبد وعلى رأسها الإله, فهو يذكر أنه وهب المعبد غنائم تسع مدن سورية . [١٨٨]

وقد حملت السفن الفينيقية إلى مصر – في عهد هذه الأسرة مثلما حملت قبلها بقية الأُسر – الأخشاب والمحاصيل البرّية, والرقيق, والخيول, ومقايضتها بالمنتجات

---

[١٨٧]– هاريس : هي بردية كتبت عليها أخبار رعمسيس الثالث ولكنها تذكر الحالة التي كانت عليها البلاد قبل تسلمه الحكم .

[١٨٨]. أحمد – محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ٢١٩ , ٢٢١ .

المحلية المصرية . وكان التجار الفينيقيون في مصر في عهد الأسرة العشرين بارزين بشكل خاص, حيث كانوا يتمتعون بحقوق خاصة تتصل بوضعهم كأجانب(امتيازات أجنبية) [١٨٩].

بقيت العلاقات التجارية مستمرة بين مصر وفينيقيا خلال عهد الملك رعمسيس الثالث ؛ الذي تسلم الحكم من بعده ثمانية ملوك سمّوا باسمه ؛ أي من رعمسيس الرابع إلى الحادي عشر . وحسب المصادر فإن العلاقات في أواخر عهد الأسرة العشرين قد ساءت بين مصر وفينيقيا وتحديداً في عهد الملك رعمسيس التاسع حوالي ١١٠٠ ق.م, حيث هناك ما يشير إلى قصة تتخذ شكل تقرير تسلَّمه موفده إلى سورية ون أمون الذي أُرسل إلى سورية ليأتي بالأخشاب من أجل بناء زورق أمون المقدس, وتقول القصة : وعندما احتاج معبد أمون في طيبة لأخشاب الأرز, كلّف حريحور الكاهن وينامون بالسفر إلى جبيل للحصول على الخشب اللازم لمركب الإله أمون المقدّس, ولمّا وصل إلى تانيس عاصمة مصر شرق الدلتا, أبلغ وينامون الملك المصري بتكليف حريحور الكاهن في معبد أمون بإحضار الخشب من الساحل السوري, فساعده الملك من جهته بإرساله على ظهر سفينة تجارية سورية, وفي طريقه سُرقت منه الأواني الفضية التي كان يحملها معه ليقدّمها هدية إلى ملك جبيل لقاء حصوله على الخشب الأرز[١٩٠] .(الشكل ١١) وعندما وصل المبعوث المصري إلى جبيل دون مالٍ, تقدّم بالشكوى إلى ملكها زكيربعل, ولم يأبه زكيربعل بشكواه, ورفض تزويده بالخشب ما لم يقدّم ثمنها, وطلب منه مغادرة البلاد, فبقي الكاهن في الميناء ينتظر, وكان يسمع كل كلامٍ يُطلب فيه منه بالرحيل . ولم

---

[١٨٩]. الصفدي – هشام , تاريخ سورية القديم , دمشق , ١٩٨١ , ص ٦٤ , ٦٥ .

[١٩٠]سيد– توفيق , معالم تاريخ حضارة مصر الفرعونية , دار النهضة العربية , القاهرة ١٩٨٧ ,ص ٣٨٠ .

يعرْ أحد اهتمامه بتمثال أمون الذي أحضره معه ويناموِن بهدف تذليل العقبات [١٩١] . وبعد مضي شهر قابل زكيربعل ويناموِن, فذكّره بأنّ أجداده كانوا يقطعون الخشب لسفينة أمون, ومن واجبه أن يفعل بالمثل, فأجابه زكيربعل : " أما أنا لست بخادمك ولا بخادم الذي أرسلك, وإذا ناديت جبال لبنان, فإنّ السماوات تنفتح وتأتي الأخشاب هنا على ساحل البحر " . وذكر بدوره بأنّ أسلافه عندما قدموا الخشب لمركب الإله المصري, قدّم لهم الفرعون ثمن حمولة ستة مراكب من السلع المصرية, كما أحضر له سجلات لوالده, تتضمّن أثمان الخشب, التي كان قد تلقّاها الجبيليون من فرعون مصر .[١٩٢] وعندما رأى ويناموِن أنّ لا حيلة في أمره, كتب إلى أسياده في مصر يطلب بضاعةً ومالاً لشراء الخشب, وبعد ثلاثة أشهر جاءته المراكب مشحونةً بالمنسوجات, وورق البردي, وجلود الجواميس, وبقطعٍ من الذهب والفضة والنحاس, عندها تسلّم ويناموِن خشب الأرز . [١٩٣]

وتشير هذه القصة إلى استقلال مملكة جبيل, وإلى أنّ هذا الاستقلال لم يكن في هذه المرحلة فقط, بل كانت تنعم به جبيل منذ زمن أبعد من تاريخ هذه القصة, بدليل أنّ السجلات التي عرضها زكيربعل على المبعوث المصري, وتأكيده له بأنّ أسلافه كانوا يقدّمون ثمن الخشب [١٩٤] . كما تؤكّد ضعف مكانة مصر ونفوذها لدى ملوك جبيل [١٩٥] .

---

[١٩١]– فخري– أحمد , مصر الفرعونية , موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق.م , مكتبة الأنجلو المصرية , ط ٧ , مصر , ١٩٩١ ص ٤١٠ .

[١٩٢] – الحوراني – يوسف , لبنان في قيم تاريخه العهد الفينيقي , ط ٢ , دار النهار , بيروت , ص ١٣٨ .

[١٩٣]– جبر –جميل , جبيل في التاريخ , بيت شباب , لبنان , ٢٠٠١ ص ١٠٦ .

[١٩٤]الحوراني – يوسف , المرجع السابق , ص ١٣٩ .

[١٩٥]– سيد – توفيق , المرجع السابق , ص ٣٨٣ .

ومن هذه القصة نستنتج بأن العلاقات بين مصر وفينيقيا أصبحت سيئة, أو ربما انقطعت كلياً في أواخر عهد الأسرة العشرين بسبب الضعف الشديد والانهيار الاقتصادي في عهد الملوك الضعفاء الذين تسلّموا الحكم بعد مقتل رعمسيس الثالث.

وسائل النقل بين فينيقية ومصر :

يعتقد علماء الآثار, أنّ الآثار المصرية التي تمدّنا بأول وثيقة عن السفن القديمة تعود إلى بضع مئات, وربّما بضع آلافٍ من السنين, ولسوء الحظ, فإنّ أصول هذه الوثائق, من نقوشٍ حفريةٍ وزخارفٍ قد دُمّرت أو كادت . ومع ذلك, فإنّ الدراسات ومحاولات إعادة تشكيل هذه الآثار, تدلّنا على وجود قوارب قليلة العمق ومدبّبة, يرتفع مؤخّرها وينخفض مقدّمها وأنّها كانت سهلة الاستعمال, وكانت تلك القوارب مصنوعة من جذوع أشجار البردي, التي تنمو بوفرة بالغة على ضفاف نهر النيل,وكانت تقوى بالحبال . كان المجدفون يواجهون مقدّم القارب, ويستخدمون العصي, ثم حلّت محلّها المجاذيف, واستتبع ذلك بناء قوارب أكبر حجماً . وقد أُستبدل خشب البردي بخشب الجمّيز, ثم الأرز المجلوب من لبنان, وهو نوعٌ من الخشب كانوا يحصلون عليه بالشراء من الفينيقيين . [١٩٦]وما يؤكّد ذلك استيراد الفرعون المصري سنفرو نحو سنة ٢٧٠٠ ق.م حمولة أربعين سفينةً من كتل خشب الأرز[١٩٧]؛ وهي تعدّ أوّل وثيقة تميط اللثام, لأوّل مرّة عن التعامل السلمي بين مصر وسورية, وعن حجم التجارة المتبادلة في ذلك العصر ؛ والتي كانت من الأسباب الرئيسة التي أدّت فيما بعد إلى تدخّل مصر سياسياً, وعسكرياً في شؤون المدن السورية, بغية بسط نفوذها عليها, وكذلك ما أسفرت عنه أعمال الحفر في معبد بيبلوس على الساحل اللبناني من كشوف, ترجع إلى عهد الأسرة الأولى, ويؤكّد هذا التعامل السلمي إلى أنّ مصر كانت ترتبط بها بصلات ودّية قديمة . فقد كانت مصر بحاجة ماسّة إلى مادة الخشب التي كانت غير متوفرة في مصر, لذلك فقد اتّجهت أنظار الفرعون سنفرو إلى سورية : إلى جبيل (بيبلوس), حيث ينمو الأرز بكثرة على سفوح جبال لبنان. وكلّ الدلائل تشير إلى أنّ السفن الفينيقية, سفن صيدا, وصور, وجبيل, هي التي

---

[١٩٦]– فينياتي–جورجيو , تاريخ السفن , ترجمة : أحمد الأورفلي , جنيف , ١٩٧٢م , ص ٩ .

[١٩٧]– كاسون– ليونيل , روّاد البحار , ترجمة : جلال مظهر , مؤسسة فرانكلين للطباعة , نيويورك , ١٩٦٦م , ص ٢ .

قامت بنقل تلك الشحنة, لأنّ السفن المصرية – حتى ذلك التاريخ, وحتى أكثر ما بنوا منها فيما بعد, لنقل حجارة الأهرام, والمسلات الضخمة من محاجرها في الجنوب – كانت عبارة عن سفن نيلية, صالحة للعمل على صفحة النيل الساكنة, لا لمقارعة أمواج البحر العاتية التي كانت من غير سهمٍ للقاعدة, وبقليلٍ من الروافد الضعيفة. وكانت الروافد تثبت الواحدة إلى الأخرى, لا إلى الهيكل . أمّا وسيلة التقوية الوحيدة فيما عدا عدّة روافد, فكانت سنادات تصل أحد طرفي السفينة بحرفها المقابل؛ والتي يقام عليها السطح. [١٩٨]

وتتضح الصورة أكثر في عهد الأسرة الخامسة, إذ أنشأ ساحور رع الأساطيل في البحر الأبيض المتوسط نحو ٢٥٥٠ ق.م؛ لنقل الجنود إلى سورية, وهذه هي أول عملية نقل للجنود عبر البحر. ويرجّح أنّها سفن شحن لا سفن حربية بالمعنى الدقيق. ولذلك فقد أمر فنانيه احتفالاً بذكر انجاز هذا العمل, أن ينقشوا صورة للمنظر على جدران هرمه. وبذلك ترك أقدم صورة واضحة باقية حتى الآن لهذه السفن. حيث تظهر جميع التفاصيل بوضوح, وكان يبلغ طول السفينة ٦٠ م, وعرضها ٢٠ م تقريباً. وبذلك تكون قد مهّدت الطريق, واختصرت المسافة, وحققت المفاجأة بالانقضاض على العدو بأسرع ما يمكن, وبأقلّ تكاليف .

أمّا في عهد الدولة الحديثة عندما استلم أحمس ١٥٨٠ ق.م زمام الأمور, وطرد الهكسوس نهائياً من البلاد مهّد لحكم أسرةٍ قوية استطاعت أن تسيطر على الوضع . ويعمّ الأمن, وتعود الطمأنينة إلى النفوس .

وفي عهد هذه الأسرة (الثامنة عشرة) يبدأ تحوتمس الثالث بحملات عسكرية إلى سورية التي شقّت عصا الطاعة للنفوذ المصري إثرَ السياسة السلمية التي اتبعتها الملكة حتشبسوت قبله. ولهذا نرى أنّ تحوتمس الثالث يصعد إلى بلاد كنعان, حيث

[١٩٨]– كاسون– ليونيل , المرجع السابق , ص ١٦ .

يبلغ التوسّع المصري ذروته في عهده؛ إذ وجّه ثماني عشرة حملةً ضدّ سورية, وعمل ابتداءً من الحملة السادسة, على نقل جنوده عن طريق البحر, ونشر سيطرته على كنعان, وسورية, وكافة الساحل الفينيقي في البرّ والبحر. وازدهرت التجارة في عهده بفضل أسطوله الضخم؛ الذي رسا في جزيرة أرواد, واستطاع أنيفرض الأمن والطمأنينة. وكانت أولى خطواته أن يضمن السيطرة الكاملة على الموانئ الواقعة على الشاطئ, ثم يضعها تحت قيادة صغار الأمراء التابعين له, ويصدر إليهم الأوامر الحازمة بالاحتفاظ بهذه الثغور الهامة في أحسن نظم, وعلى أهبة الاستعداد.[١٩٩] وما يؤكّد الاتصال بين سورية ومصر أنّ كينامون – وهو موظف من موظفي الفرعون امنحوتب الثالث (١٤١١– ١٣٧٥ ق.م), ومكلّفاً بالإشراف على تجارة الشرق – أمر أن تُرسم له صورة على أحد جدران مقبرته, وهو يقوم بأداء عمله لحظة وصول أسطول من السفن إلى ميناء مصري. ويُستدل من ملابس الربّان وملامحه, وكذلك رفاقه بأرديتهم المطرّزة, التي تصل إلى أقدامهم, وصورة وجوههم الجانبية البارزة المعكوفة, على أنّهم سوريون. ولا شكّ أنّها سفن آتية من فينيقية .وقد ربط بعضها إلى الساحل, وطوت أشرعتها, وأنزلت سلالمها من مقدماتها إلى الشاطئ, ومن دراسةٍ لهذه السفن نرى أنّ المقدمة والمؤخرة الرشيقة, والانحناء الظاهر, وقنطرة هيكلها, تضعنا أمام سفنٍ جديدة نتعرّف عليها لأوّل مرّة في التاريخ؛ وهي السفن الفينيقية. وهذه الصورة هي أوّل رسمٍ حقيقيّ للسفن التجارية الفينيقية . حيث كانت هذه السفن عميقة القاع, ذات نهاياتٍ منحنية تشبه الهلال, وتنتهي بمقدمات, ومؤخرات مرتفعة, ولها أسطح تبلغ مستوى حافة السفينة, وتغطي عنابرها الكبيرة ؛ بدليل فتحات جانبية لتصريف المياه, في حال تعرّضها للأمواج.

[١٩٩]– حجازي – حسين , جزيرة أرواد والجذور الفينيقية على ضوء الاكتشافات الجديدة , دار الأماني , سورية , ص ٢٣٢ .

وقد أُحيطت بسياج مرتفع ؛ ليسمح لها أن تحمل حملاً كبيراً على السطح, ولها أشرعة عريضة مستطيلة, تشبه من حيث شكلها وطريقة تحبيلها السفن المصرية. فالشراع مثبّتٌ إلى ساريتين مستعرضتين, واحدة من الأعلى والثانية من الأسفل, وهناك شبكة من الحبال للرفع والإنزال, كما هو مألوف في ذلك الوقت ؛ فهي سفينة حقيقية لشعبٍ بحري, قد تمرّس وقارع الأمواج زمناً طويلاً. أمّا السفن المصرية فهي لشعبٍ أكثر حداثةٍ في الأمور البحرية, وقد ضلع في الملاحة, وبناء السفن النيلية, ومرّ زمنٌ طويل قبل أن تصبح سفنهم قادرة على أن تمخر عباب اليمّ بسهولةٍ وأمان. وهذا ما ويؤكّد أنّ السفن الفينيقية, هي سفن الشعب الكنعاني البحري. أمّا السفن المصرية فهي سفن الشعب الكنعاني البرّي؛ الذي سلك الطريق البري: سواء عبر باب المندب أم الطريق الصحراوي من ضفاف الخليج, وما بين النهرين أو رأساً من الجنوب, ووسط الجزيرة العربية إلى سيناء, ومنها إلى مصر من جهة, وسورية ولبنان وفلسطين من جهة ثانية .[٢٠٠]

أمّا المنتجات التي حملتها هذه السفن من سورية إلى مصر في الدولة الحديثة لا تكاد تحصى؛ حيث تبيّن صور المقابر المصرية هذه المنتجات من أوانٍ فاخرةٍ من الذهب والفضّة, وخشب الأرز, والأحجار الثمينة والخيل, وبعض العجائب كالدببة والفيلة, وكذلك كانت ترد من سورية السفن والمركبات, وأجزاؤها, والأسلحة والعصي, والآلات الموسيقية, والأواني والأوعية من أنواعٍ مختلفة؛ وبصفةٍ خاصة جرار الزيت والجعّة والنبيذ, وأصناف مختلفة من البخور والمسك, والخيل, والماشية, والثيران, وأشياء أخرى كثيرة. أمّا عن المنتجات التي كانت ترد من صر إلى سورية فقد كان

[٢٠٠]– حجازي – حسين , المرجع السابق , ص ٢٣٨ , ٢٣٩ .

أهمّها المواد الغذائية, وخاصة القمح, والكتان المصري ومصنوعات بعض الصناعات المصرية .[٢٠١]

[٢٠١]– إرمان – أدولف , رانكه– هرمان , ت : عبدالمنعم أبو بكر , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , ص ٥٩٣ .

الفصل الرابع

- المواد التجارية الفينيقية .
- السفن الفينيقية .
- قوانين المعاملات التجارية البحرية .
- العملات الكنعانية (الفينيقية) .
- الأساليب التجارية الفينيقية القديمة .

المواد التجارية الفينيقية :

قام الاقتصاد الفينيقي القديم على عدّة دعائم ؛ هي الزراعة وتربية الحيوان والصناعة والتجارة, فشكّلت الزراعة ركناً هاماً من أركانه خلال الأزمنة التاريخية ؛ لوجود الأراضي الزراعية الخصبة, والمناخ الملائم بسبب سقوط الأمطار الوفيرة التي تساعد على ممارسة النشاطات المختلفة في الساحل والداخل.ولما كانت التجارة من أهم نشاطات الفينيقيين, فقد قاموا بتجارة الكثير من المواد التجارية, ومنها نذكر :

المواد الخام العضوية :

وتشمل منتجات الغابات, ومنتجات المراعي أو المنتجات الحيوانية . وقد كانت تجارة الأخشاب تحتلّ مركزاً هاماً بين سكان المرتفعات في إقليم البحر المتوسط عامة وبين سكان السهول . ولم تكن تنمو الأشجار الصالحة للبناء ولصنع الأثاث وبناء السفن إلا على مرتفعات الساحل الفينيقي ؛ ومعنى هذا أن السهول الفيضية في الساحل الفينيقي المزدحمة بالسكان, تكاد تخلو من أية أشجارٍ ذات قيمة صناعية . ولذلك بدأ قطع أشجار الغابات من المناطق القريبة من مراكز السكان الكبرى في عهد مبكر . وقد ساعد على سرعة قطعها استعمال الفأس البرونزية ثم الفأس الحديدية . ولما كانت صناعة قطع الغابات متصلة بصناعات حيوية, مثل بناء السفن فإن الحكومات في التاريخ القديم كانت تحتكر هذه الصناعة في يدها, وكانت تجارة الخشب ذات صبغة دولية سياسية ولم تُترك في يد الأفراد. [٢٠٢]

وتبدو أهمية هذه التجارة بالنسبة للساحل الفينيقي ، من أن مرتفعات الناصرية ولبنان الغربية ولبنان الشرقية وحوران, كانت المناطق الوحيدة ذات الغابات الصالحة للصناعة في منطقة الهلال الخصيب ، و كانت تُجاور إقليمين كبيرين عريقين في

---

[٢٠٢]- Vide , Rose , J . H , The Mediterranean in the Ancient World , Cambridge , 1934 , p. 1 – 12 .

الحضارة, خاليين من موارد الخشب, هما العراق و مصر . ومن ثم كانت أول العلاقات بين كلٍّ من هذين الإقليمين وبين الساحل الفينيقي, علاقات تجارية خاصة بتجارة الخشب بالذات . فقد توجهت إحدى حملات سارجون الأكادي إلى شمال سورية لقطع الأخشاب, كما توالت البعثات المصرية ، حربية أحياناً وسلمية أحياناً أخرى على إقليم بيبلوس لحمل خشب الأرز إلى مصر. [٢٠٣]

وقد كان المصريون يقصرون هذا الخشب على صناعة السفن و صواريها ، أما أسقف المنازل وأعمال النجارة الأخرى, فكانوا يستعملون فيها خشب النخيل وأشجار الجميز والدوم والأكاشيا, ومن ثم كان تقديرهم الكبير لأرز لبنان .

وقد ساعد أيضاً على نشاط تجارة الخشب في الحوض الشرقي من البحر المتوسط قلة توزيعه في الجزر والمرتفعات . ويعزو بعض الكتاب قيام الدول البحرية في جزر بحر إيجه وكريت في فينيقية إلى توفر الخشب اللازم لبناء السفن ، كما يعزو اضمحلال تلك الدول وانتقالها من مركز إلى آخر – حتى انتهت إلى فينيقية ، بل واضمحلال دولة فينيقية البحرية بالذات بعد ذلك – إلى نضوب معينها من مورد الخشب الواحدة بعد الأخرى .

ولكن لا نستطيع أن نجزم بأن هذه الكميات الكبيرة من الخشب في الأراضي التي تنمو فيها الغابات في هذا الإقليم, بأنه لا يعتبر من أقاليم العالم الغنية بمصادر الخشب .

وهذه البقع المغطاة بغابات هي قمم جبال جزيرة صقلية و مرتفعات جزيرة كريت و جزيرة قبرص و السفوح الغربية لجبال أمانوس و جبال لبنان الغربية و غابات

---

[٢٠٣]– أرمان أدولف . رانكة هرمان , مصر و الحياة المصرية القديمة , النهضة المصرية , القاهرة , ١٨٨٥ , ص ٢٢٥

الصنوبر التي كانت تغطي جبل حرمون و أشجار البلوط التي كانت تغطي مرتفعات (باشان و جليات). [٢٠٤]

أما مرتفعات فلسطين, فلم يكن يغطيها سوى الأحراش والشجيرات القصيرة ، هذا عدا أشجار الكافور التي تنمو بالقرب من عيون الماء ومجاري الأنهار ولهذا كانت للشجرة قداسة في فلسطين .

وكانت جزر بحر إيجه ومصر والعراق تتنافس في استغلال غابات الأرز والصنوبر والشربين, التي كانت تغطي جبال الأمانوس والسفوح الغربية لجبال لبنان ، ويبدو من وثائق التاريخ المكتوبة أن مصر وطّدت قدمها في بيبلوس منذ بدء عصر المعدن أواخر الألف الرابع قبل الميلاد ، وأنها حوّلتها إلى شبه إيالة أو محمية مصرية حتى أواسط عصر البرونز(عصر الدولة المتوسطة في مصر) . أمّا أوغاريت فكانت ملتقى أهل العراق وشعوب بحر إيجه ، وكانت في إحدى فترات تاريخها مستعمرة إيجية إلى أن استطاعت المدن الفينيقية بزعامة صور وصيدا وأرواد السيطرة على غابات الأرز اللبنانية بل وغابات الصنوبر على جبل حرمون والتحكم في تجارة الخشب في شرقي البحر المتوسط .

إلى جانب أشجار الصنوبر والشربين والأرز اللازمة لبناء السفن وصواريها ، كانت هناك تجارة نشيطة في أنواع من الخشب أقل جودة ، تستخدم في أغراض أخرى كأشغال النجارة والبناء ، مثل أشجار الزيزفون, والزيتون, والتين .

---

[٢٠٤]– باشان وجليات : مدن شرقي الأردن و حوران .

تجارة الخيل والماشية ومنتجات المراعي :

لا يساعد مناخ البحر الأبيض المتوسط على انتشار المراعي الواسعة . فهو في الأصل إقليم أشجار دائمة الخضرة إلا أن سفوح المرتفعات التي تحيط بحوض البحر المتوسط تغطيها الأعشاب حتى ارتفاع معين, يختلف باختلاف موقع الإقليم المحلي وتعرضه للرياح ونوع صخوره . هذا بصفة عامة ، أما في الجانب السوري من هذا الحوض فقد لاحظنا امتداد السهوب الصحراوية شرقي جبال لبنان الشرقية و جبل حرمون مباشرة . إلا أن هذه السهوب ليست في غنى مراعي حوض البحر المتوسط الشمالية أو الغربية, بل أنّها تتدرّج حتى تصير إلى الصحراء . وعلى الرغم من هذا, فقد كانت تلك السهوب ولا تزال موطن البدو الذين ينتقلون وراء قطعانهم في رحلات موسمية ، والذين يتصلون . في أوقات السلم . اتصالاً تجارياً مع أهل الحضر أو الريف .

غير أن المراعي الطبيعية لم تكن وحدها مورد الثروة الحيوانية في الشرق الأدنى، فقد كانت هناك مراكز زراعية تنافس السهوب في تربية الماشية ، ولا سيما في مصر والعراق . وقد عُرفت مصر بتربية الماشية على نطاق واسع ولا سيما في براري شمال الدلتا ، وكانت الدورة الزراعية تهيئ للماشية المرعى الذي يحفظ لفصل الصيف, وهذا مالم يتوفر لدى الرُّعاة في البادية . فمنذ أن أدخل الهكسوس الحصان في مصر, اهتمَّ الفراعنة بتربية الخيل, وتوفيرها لمركباتهم الحربية ، وكانت تشترك مع مصر في تربية الخيل وتصديرها إلى سهول كيليكيا, وتراقيا, وتساليا, وسهول البو في إيطاليا, وسهول صقلية وحوض نهر الوادي الكبير في إسبانيا.

أمّا الضأن والماعز, فكانت تربّى في فلسطين الحالية والجولان وباشان [٢٠٥] ؛ حيث تسقط أمطار كافية لنمو الحشائش . وكانت المدن الفينيقية تعمل في تجارة الصوف الخام, ونقله من مراعي الضأن إلى المدن الصناعية حيث كانت الحاجة إليه ماسة ولا سيما أنّ القطن لم يكن قد عُرف بعد في مصر, والذي كان من مواد الترف التي لا يقدر عليها إلا الأغنياء, أمّا الصوف فقد كان لباس عامة الشعب .

وكانت فينيقيا تستورد الخيل والبغال من أرمينيا, ثم تبيعها في فلسطين, وكانت سورية المنخفضة ؛ أي إقليم البقاع تعتبر من أفضل المراعي في سورية كلها وكانت مستنقعات الغاب وبحيرة أنطاكية مراعٍ للماشية, بينما سهل البقاع المرتفع مرعىً للخيل والضأن . وقد كانت المراعي تمدُّ السفن السورية الكبيرة باللحوم ومنتجات الألبان . وتمدّ المُدن الفينقية الكبيرة بالصوف وشعر الماعز الذي كانت تقوم بغزله ونسجه وصبغه بعد ذالك .

[٢٠٥]– السيد – محمد غلاب , الساحل الفينيقي وظهيره في التاريخ والجغرافية , ص ٤٢٧ .

تجارة التوابل و البخور:

تقترن هذه التجارة في كتابات المؤرخين والجغرافيين القدماء ببلاد العرب, وكان البخور و المرّ وغيرهما ينمو في اليمن ؛ حيث أشجارها تنمو في حالة طبيعية أو منزرعة في هذه البلاد. ويرى بعض العلماء المحدثين أن شجرة البخور boswelliathurifera موطنها الأصلي حضرموت, كما أنّ شجرة المرّ لا تزال تنمو هناك وتُعرف باسم علمي balsam OdendroonMyrrah إلا أن معظم هذه الأشجار التي تنطوي تحت اسم البخور لا تنمو الآن إلا في الهند وجزر الهند الشرقية, فهل معنى هذا أنها انقرضت من بلاد العرب الجنوبية (اليمن) أو أن القدماء توهّموا أنها محاصيل يمنية ؛ لأنها وصلتهم عن طريق القوافل العربية ؟ يبدو أن الرأي الثاني أكثر ترجيحاً من الأول . وقد كانت هذه التجارة تصل إلى أسواق فينيقية, ومن ثم تنتقل إلى بقية أسواق حوض البحر المتوسط وذلك من مصدرين ، الهند, والخليج العربي, ثم وادي دجلة والفرات إلى طريق شمال سورية أو عن طريق سواحل شبه جزيرة العرب الجنوبية, ومن ثم تحملها القوافل نحو الشمال .

تجارة الحبوب الغذائية :

كانت لتجارة الحبوب أهمية خاصة منذ أقدم العصور في حوض البحر المتوسط ، وذلك ؛ لأن سكان هذا الحوض كانوا يتركزون في السهول الساحلية الضيقة, حيث تشجع الظروف المحلية على الملاحة وصيد الأسماك . وكان إنتاج القمح وغيره من الحبوب الغذائية لا يكفي عادة عدد السكان المتزايد في بلاد اليونان وجزر بحر إيجه وسهول الأناضول والساحل الفينيقي ، ولذلك كان لا بد من استيراد الحبوب لسد حاجة السكان من الغذاء .

وقد ساعد على نشاط تلك التجارة بين الأقاليم الوفيرة الإنتاج في القمح وبين الأقاليم المفتقرة إليه ، تعرّض إقليم البحر المتوسط للجفاف في بعض السنين وتأخر أمطار الخريف اللازمة لريّ حقول القمح, وهي أحوج ما تكون إلى الماء. ولا سيما في حوض البحر المتوسط الشرقي . هذا إلى أن التربة السائدة في سهول هذا الحوض خفيفة لا تصلح دائماً لنمو القمح ، أمّا سهول الساحل الفينيقي, فهي قليلة المساحة في هذا الحوض . وكلّ هذه العوامل اتّحدت لتجعل توزيع حقول الحبوب الغذائية ولا سيما القمح هامة جداً في تاريخ البحر المتوسط . [٢٠٦]

أما الشعير فكان أقل إرهاقاً للمزارعين ، ويمكن أن ينمو في أي تربة تحت أي ظروف مناخية مهما كانت قاسية ، وهو أكثر احتمالاً للجفاف ، ولذلك كان أصلح لسفوح المرتفعات الخفيفة التربة . وأمكن أن يزرع في أطراف الصحراء شرقي الحوض, وكان غذاء سائداً عند سواد الناس ، بعكس القمح الذي كان محدود المساحة في مناطق متباعدة ؛ حيث تتوفر التربة الجيدة في وديان الأنهار الخصبة. وكان القمح غذاء أهل المدن التجارية, حيث يتركز السكان على الساحل . وكان هؤلاء السكان المدنيون أرقى في مستوى معيشتهم من جمهور الزارعين أو الرّعاة, ولا

---

٢٠٧ – A. Strabo, the oxford classCeal dictionary , xvid,1949.p 19

يرضون عن خبز القمح بديلاً. ولذلك كانت تجارة الحبوب منحصرة تقريباً في تجارة القمح دون سواه . أما أقاليم إنتاج القمح, فكانت مصر وساحل سيكيذيا (جنوب روسيا), وهضبة حوران وسهول كيليكيا ، وتراقيا وسهول إيطاليا والأندلس وسهول قرطاجة .

و تجارة القمح قديمة جداً في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ولا سيما بين مصر من ناحية وفلسطين وسوريا من ناحية أخرى ، وذلك لتعرّض الجانب السوري لذبذبات الأمطار وما يتلو ذلك من مجاعات ونقص في محصول القمح . وكانت مصر تقايض في قمحها وتستبدل به خشب الأرز من لبنان, ولم تكن مصر هي مصدر القمح الوحيد في هذا الجزء من العالم ، فقد كانت حوران – (إقليم باشان القديم) [٢٠٧] – تنتج القمح بكميات متوافرة لتوفر المطر الكافي, ووجود تربة بركانية خصبة, وكانت تصدّره إلى صور . وربما قامت هذه بدورها بتصديره إلى بلاد اليونان .

أما خصائص جبال لبنان الغربية التي هيّأها الفينيقيون على شكل مدرجات . فقد كانت أكثر ملائمة للحدائق وزراعة أشجار الفاكهة ، ولذلك اعتمد أهلها على قمح وادي النيل وباشان وكيليكيا وقبرص . وقد قام الفينيقيون بدور كبير في نشر أنواع مختلفة من المزروعات في بقية أنحاء حوض البحر المتوسط ، إذ حملت سفنهم فصائل نباتات عديدة وبذورها من مواطنها في شرقي البحر المتوسط ومن فارس، مثل الورد والنخيل والتين والرمان والمر واللوز, ونقلتها إلى بقية أنحاء الحوض . وقد أدى ذلك إلى قيام تجارب في سبيل أقلمة هذه النباتات في تلك المواطن التي أنشأ فيها الفينيقيون مستعمراتهم على نطاق واسع ، ولقد ذكر أحد الكتّاب الإغريق

[٢٠٧]– السيد – محمد غلاب , المرجع السابق , ص ٤٣٢ .

المهتمين بعلم النبات أسماء أشجار الفاكهة التي كان للفينيقيين فضل نقلها شرقي البحر المتوسط ونشرها في بقية أنحائه .

تجارة زيت الزيتون :

وكانت مرتفعات سورية وفلسطين الموطن الأصلي لأشجار الزيتون والكروم ولأشجار التين، ومن هذا الوطن انتشرت زراعته إلى بقية أنحاء حوض البحر المتوسط في التاريخ القديم . [٢٠٨]

ولشجرة الزيتون أهمية خاصة في هذا الإقليم إذ أنها تقدم غذاء طيباً من ناحية ، وعصير هذه الثمرة يكون مادة دهنية تسدّ نقصاً كبيراً في هذا الإقليم الذي يفتقر إلى المراعي الجيدة, ومن ثم يفتقر إلى مورد المواد الدهنية الحيوانية من ناحية أخرى . ولهذا فزيت الزيتون يسد نقصاً غذائياً في إقليم البحر المتوسط . يضاف إلى هذا أنه كان يستعمل في دهن الجسم في بعض المناسبات التقليدية والدينية الهامة . وقد عُثر على معاصر لزيت الزيتون في حفريات جزير(جنوب فلسطين) ترجع إلى الألف الثالث ق.م . وكانت فلسطين مشهورة ببساتين الزيتون ومعاصره، والكتاب المقدس نفسه حافل بهذه الشجرة ، وقد كان يضاف إلى زيت الزيتون زيت السمسم واللوز والكبريت, لصنع دهان خاص لمعالجة بعض الأمراض الجلدية .

وكانت تتصل بتجارة زيت الزيتون صناعة العطور الزيتية التي عُرف بها المشرق منذ القديم ، ولم تكن العطور الزيتية قاصرة على الطبقات الغنية وحدها،بل اشتركت فيها أيضاً الطبقات الفقيرة، التي كانت تكتفي بدهن الرأس بزيت الزيتون, وذلك من خلال ممارسة المصريين لطقوسهم الدينية, وما يؤكد ذلك أن تحوتمس الثالث يذكر أنّه عندما شنَّ حروباً ضدّ أرواد, أخذ الجنود يدهنون أجسادهم بزيت الزيتون, وكأنهم في عيدٍ بمصر.[٢٠٩] وما يؤكّد ذلك أيضاً نصّ رسالة من ملك أوغاريت (نيقمادو الرابع) إعطاء كمية من الزيت إلى تاجرين, الأول:من ألاشيا (قبرص), والثاني : من

٢٠٨- . Vide , Weill, Raymond , Phoenicia western Asia , London , 1940 , p 15 , 19

٢٠٩ - أحمد – محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ١٧٠ .

مصر.[٢١٠] وهذا ما أكّدته نقوش أسطول ساحور رع التي تظهر الأواني الفخارية المستخدمة لنقل إنتاج غالي الثمن ربّما كان زيت الزيتون. وهذا دليل على أنّ تجارة زيت الزيتون وما يتصل به من عطور زيتية كانت نشيطة جداً بين مصر وسوريا. فبينما كانت سوريا تفتقر إلى القمح كانت مصر تفتقر إلى زيت الزيتون والخشب .وانتشرت هذه التجارة في الحوض الغربي من البحر المتوسط من خلال التوسّع الفينيقي والإغريقي. وقد ظلت تجارة الزيت تكوّن مادة هامة من مواد التجارة حتى أنها كانت تدخل في نصوص المعاهدات كجزء كبير من الجزية التي كان يفرضها الغالب على المغلوب.

تجارة النبيذ :

يعدّ النبيذ الشراب السائد في حوض البحر المتوسط فيما عدا الجعّة ؛ التي كان يشربها المصريون . وقد اقترن ذكر عصر النبيذ في أساطير القدماء من مصريين وكنعانيين, وإغريق بأسماء أبطالهم وآلهتهم ، مما يدل على عراقة هذه الصناعة وقِدمها . ولم يكتفِ كل قطر بما يعصره من نبيذٍ محلي ، بل قامت تجارة كبيرة بين مختلف أقطار البحر المتوسط في هذه المادة, إذ يكاد كل إقليم أن يمتاز بنوع خاص من أنواع النبيذ ، وقد امتدح حزقيال[٢١١] في نبوءته نبيذ وادي حلبون المطل على دمشق ، وذكر تجارته التي كان مصدرها صور ، كما امتدح بليني نبيذ جبيل[٢١٢] . هذا إلى أن تراقيا وجزيرة ناكسوس وجزيرة لسبوس, وغيرها من جزر بحر ايجه, كانت تمتاز بأنواع خاصة من النبيذ . ولا نعدو الصواب إذا قلنا إنّ السفن الفينيقية كانت تحمل دِنان النبيذ من إقليم إلى آخر وتستغل اختلاف الأمزجة في تنشيط هذه التجارة ، إذ لم يكن لها هدف معين أو طريق تجاري بالذات مثل تجارة الخشب أو القمح أو

---

[٢١٠] - مرعي – عيد , تاريخ سورية القديم (٣٠٠٠-٣٣٣ ق.م), ص ١٦٠ .

[٢١١]- حزقيال : ويعني اسمه في العبرية يقوي , وهو من الأنبياء العبرانيين نشأ وكبر في فلسطين انتظم في سلك الكهنوت , وكان من الذين سبوا إلى بابل في عهد الملك الكلداني نبوخذ نصر , عام ٥٩٧ ق.م , وتكلم في أسفاره عن المدن الفينيقية .

[٢١٢]- السيد – محمد غلاب , الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا و التاريخ , ص ٤٣٥ .

الزيت . وأخيراً من خلال الحديث عن المواد التجارية المتبادلة بين فينيقيا ومصر نجد ذكر بأنّ النبيذ كان يدخل في معظم المواد التجارية المتبادلة بين مصر وفينيقيا .

السلع الصناعية الفينيقية:

كان أصحاب الحِرف والتجار يحتلون مكانة متوسطة في المجتمع الكنعاني بين الارستقراطية الإقطاعية المؤلفة من النبلاء الملاكين والمحاربين في سلاح المركبات وبين الطبقة الدنيا المؤلفة من عبيد الأرض والأرقّاء .

وكان الأبناء عادة يتخذون مهنة آبائهم. وظل هذا الأسلوب متبعاً حتى العصور الأخيرة . وهناك ما يحمل على الاعتقاد بأن أصحاب الحرف كانوا ينتظمون في نقابات, والنقابات كانت تتألف من جماعات ترتبط بعضها ببعض بروابط المهنة والقربى وتعيش في أحياء خاصة . وقد وجدت مثل هذه المنظمات في فلسطين قديماً منذ القرن الثامن عشر ق . م

وقد بلغت صناعة الخزف, وهي من أقدم الصناعات السورية ومن أكثرها نجاحاً ذروتها قبل عام ١٥٠٠ ق.م, وكان التأثير البابلي ظاهراً فيها منذ ٢٠٠٠ ق.م . واستعمال دولاب الخزف الذي بدأ في أوائل الألف الثاني أعطى المصنوعات الخزفية صفات جديدة وشكلاً متناسقاً . والطين الذي استعمل حينئذٍ أصبح أكثر نقاوةً. وأخذت الصفات الأمورية القديمة بالزوال, وأصبح تقليد النماذج الأجنبية وخاصة المصري والكريتية والميكينية أمراً شائعاً . وأُستوردت الأواني الخزفية البراقة ببريق معدني وآنية الرخام المعرق (الالباستر) من مصر بكميات كبيرة . وأُستخدمت كذلك الأواني القبرصية كنماذج, كما تدل مكتشفات أوغاريت وغيرها من الأماكن، وبعد عام ١٥٠٠ ق.م أصبحت التأثيرات القبرصية والميكينية قوية بشكل خاص. وصُنعت نماذج خاصة لأجل الأشياء المتصلة بالطقوس الدينية والتقديمات النذرية . وأُستخدم القصدير في طلي الخزف وإعطائه بريقاً خاصاً . والآثار المكتشفة في القبور تظهر ذوقاً ومهارة فنية . ولقد بلغ فنّ النحت ذروته في القرن السادس عشر قبل الميلاد ومن السلع الصناعية الفينيقية نذكر :

صناعة المعادن :

وكان الكنعانيون على الغالب لا يبارون في صنع المعادن في عصر البرونز المتوسط والأخير (نحو ٢١٠٠ . ١٢٠٠ ق. م), فقد كانوا يصنعون النحاس والبرونز بكثرة . وقد أظهر التحليل الكيماوي لنصل فأس من أوائل القرن الرابع عشر اكتشف في رأس شمرة ليس معرفة إذابة الحديد فحسب, وإنما معرفة مزجه بمعادن أخرى لصنع مزيج من الفولاذ, وكان هذا أمراً مجهولاً حتى ذلك الوقت . واهتم الكنعانيون بالبحث عن المعادن لجعل الحديد قاسياً, وعن القصدير لأجل مزجه مع النحاس لصنع البرونز, وعن الذهب والفضة, ولذلك قاموا برحلات طويلة خارج بلادهم . ووُجدت صحون الفضة بين غنائم الفراعنة من سورية . وبلغ فنّ الصياغة ذروته في القرن السادس عشر ق.م. وأُكتشف ميزان أحد الصاغة وأوزانه في رأس شمرا,واستخدمت وزنات الفضة غير المصكوكة كنقود في بلاد آسيا الغربية على الرغم من أن التجارة كانت عموماً بشكل مقايضة . ويشير الملك الآشوري سنحريب (٧٠٥ . ٦٨١) إلى هذه الأوزان التي صنعها بقوله : (لقد عملت قالباً من الطين وصببت البرونز فيه كما صنع قطع نصف الشاقل) [٢١٣]

وتظهر في فلسطين أشكال حثية وقبرصية, وميكينية من الأسلحة, وأُكتشفت أساور وخلاخل وأقراط وخزائم ومشابك للصدر من البرونز والذهب والفضة في مختلف المواقع, وأُستخرجت صنوج صغيرة من تل (أبو هوام) قرب حيفا في القرن الرابع عشر ق.م, وتظهر الآثار وجود آلات موسيقية كالقيثارة والناي والمزمار والعود والدفّ, ولكن هذه لم تبق لسرعة تلفها . وعندما بدأ التجار الكنعانييون باستيراد التمائم و الجعلان و الأختام و الخرز و الأواني و الأسلحة و غيرها من مصر, فإن صانعي المعادن الكنعانيين أخذوا يقلدونها . و تشيد أشعار هوميروس بصناعة المعدن وبالفنون الفينيقية, وقد ذكرت أن صحناً من الفضة (عمله بإتقان الصيدونين

[٢١٣] - Deniel .D,Luc kenbill,The Annals of Sennacherib (chicago,1924), P. 123

الحاذقين في الصناعات اليدوية الدقيقة وهو في جماله أحسن شيء من نوعه في العالم كله). [٢١٤]

العاج :

كان زينة عامة الناس, وتضم هذه الزينة العقود والخواتم من البلور الصخري و العقيق, وقد وُجدت نماذج منها . ولم تكتشف إلا خرزات و تمائم قليلة من العاج . وكان العظم يستخدم مكان العاج على الرغم من أن الفيل كان على الغالب موجوداً في سورية الوسطى, كما تدل أخبار رحلات الصيد التي كان يقوم بها الفراعنة إلى تلك المنطقة . وتعود أقدم قطع العاج الفينيقية إلى القرن الرابع عشر ق.م .

ووجدت تُحف مجدو العاجية في قصر من أوائل القرن الثاني عشر, وقد تكون من عصر أكثر قدماً . و الأمشاط التي اكتشفت في قبور في إسبانيا تتبع أسلوب مجدو, ولكنها ترجع إلى القرن الثامن . و أقدم تقليد يوناني معروف للأشغال الفينيقية يرجع إلى هذا القرن . وهنالك قطعة عاج من القرن الثاني عشر أو الثالث عشر في مجدو, تُرينا مغنياً يعزف على القيثارة, و بعض قطع العاج الفينيقية رائعة في صنعها و جمالها حتى أنها عدّت من أثمن آثار الفن في الشرق القديم.

الزجاج :

[٢١٤]– الصفدي – هشام , تاريخ سورية القديم , دمشق , ١٩٨١ , ص ٥٧ .

كانت صناعة الزجاج من الصناعات الأخرى التي تفوّق فيها الكنعانييون . وكانت المرويات الكلاسيكية تُنسب إليهم فضل اكتشاف الزجاج غير أننا نعلم اليوم أنّ المصريين صنعوا الزجاج قبل الكنعانيين بكثير, و الأخبار المتعلقة بالكنعانيين يمثلها ما رواه بليني[٢١٥]. من أن بعض التجار كانوا يعدون طعامهم على الشاطئ قرب عكا, و قد استخدموا بعض قطع نترات البوتاس التي كان يحملها مركبهم لتركيز قدورهم على النار, ولكنهم اكتشفوا على أثر ذلك سائلاً شفافاً عندما تعرضت النترات للنار و اختلطت بالرمل . ومهما يكن فإن الواقع هو أن الفينيقيين[٢١٦] هم الذين تاجروا بالزجاج المصري وأتقنوا فن إنتاج الزجاج القديم .

صناعة الأقمشة :

كانت الغزل و النسيج من الصناعات الاعتيادية ومكانها المنزل . وقد وجدت آثار مغازل من الحجر و العظم و أثقال من الحجر و الطين تُستخدم لأجل الأنوال و ترجع إلى أوائل الألف الثالث . ولا شك أن الصوف كان أقدم المنسوجات . وتذكر وثائق نوزي من حوالي ١٥٠٠ ق.م . الصوف الكنعاني, والقطن الذي كان بالأصل من نبات الهند قد أدخله سنحريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) إلى آشور, حيث يشير في إحدى الكتابات الأثرية إلى الأشجار التي تحمل صوفاً والتي كان رجاله (يقطعونها ويسرحونها لعمل الملابس) . [٢١٧]

ولم يكن القطن شيئاً معتاداً في تلك الأيام . لقد أدخل الفينيقيون هذه المادة إلى العالم اليوناني في أوائل العصر الهلنستي في القرنين (الرابع والثالث قبل الميلاد)

---

[٢١٥]- كاتب روماني محب للمعرفة عاش بين (٢٤ – ٧٩ م) , وكتب بعلم الحيوان والنبات .

[٢١٦]- الصفدي – هشام , المرجع السابق , ص ٥٩ .

[٢١٧]- Breasted. J.H,ancent,Times and(New york,1935),p.203

ومعها اسمها الفينيقي, وكانوا ينتجون الكتان كما يبدو في سورية الجنوبية في القرن العاشر ؛ لأن روزنامة الجزر التي ترجع إلى ذلك التاريخ تذكر (شهر اقتلاع نبات الكتان) ويُعتقد أن الحرير كان معروفاً في صور في القرن السادس . وُجدت أزرار مستديرة بثقبين وقد كانت تُصنع أزرار الفقراء من الخزف المكسور, وأما الأغنياء فكانت أزرارهم من العظم و العاج . [٢١٨]

وترُينا الأشكال في الرسوم الجدارية الموجودة في قبور مصر من أوائل عصر الهكسوس نحو (١٧٠٠ ق . م) جماعة من الكنعانيين وهم يلبسون الأثواب الطويلة التي تصل من الكتف حتى الركبة . وكانت هذه الأثواب مصنوعة من القماش المصبوغ ومزدانة بالشريط أحياناً مزخرفة بعناية . وبعد أن كان ذلك اللباس مستعملاً لدى الملك و الكاهن, فإن سائر الناس صاروا يلبسونه . ويظهر حاملو الجزية السوريون على قبور طيبة التابعة للسلالة الثامنة عشر يلتفون بشالٍ أبيض له أطراف حمراء أو زرقاء حول جسم الواحد من الخصر فما دونه . ويُشاهد الأسرى الكنعانيون في المباني الأثرية المصرية يلبسون القميص أو الرداء القصير و التنورة وثياباً فوقها تتألف من قطعة قماش طويلة ضيقة ملفوفة بشكل حلزوني حول الجسم . والمجموعة بكاملها بما فيها لباس الرأس تشبه ملابس البدوي . ورجال الفن المصريون لا يمثلون الكنعانيين وحدهم و إنما الآراميين أيضاً بأجسام أثقل من أجسام المصريين, وفي الغالب بشعرٍ طويل و لحى كثيفة سوداء مروسة . ويتدلى الشعر على الظهر بكتل كثيفة حتى الرقبة ويحجزه فوق الجبهة ما يشبه الشبكة . و الكهنة كانوا يحلقون رؤوسهم كما في مصر . وفي العصور التالية كانت النساء يُخبئن شعورهن تحت البراقع وبعد الزواج كن يلبسن قبعات تغطي رؤوسهن تماماً (بعصائب مثل الآلهة) .

---

[٢١٨]– الصفدي – هشام , المرجع السابق , ص ٥٩ .

الأرجوان :

و هنالك صناعة أخرى كانت مزدهرة على الساحل وهي صيد الأسماء . ومدينة صيدا مدينة تنسب باسمها إلى هذه الصناعة . و كانت المراعي البرية في بعض الأحيان مخيبة للآمال أو غير أكيدة بسبب فقر التربة أو تقلب الأمطار, ولكن البحر كان يزوّد السكان بالأسماك, و خاصة من نوع التونة وبالملح و الصباغ الأرجواني .

وأقدم ذكر للأرجوان قد ورد في نص من رأس الشمرا يقول إنّ كمية من الصوف قد وزّعت بين الحائكين المكلفين بصنع الأرجوان (argun) . [٢١٩]

وكانت سواحل البحر المتوسط كلها ليس السواحل الشرقية وحدها تحوي بكميات مختلفة صدف الموركسmurex الذي يستخرج منه السائل الأرجواني ، وكانت شعوب أخرى من غير الفينيقيين كالمينوسيين (الحضارة المينوية) واليونان مثلاً, تستخدم هذه الأصداف . وتؤكد الأسطورة اليونانية أنه بينما كانت الملكة هيلين تتنزه في طروادة على الساحل لتخفف عن نفسها ألم الأسر لاحظت أن السمكة الصدفية التي كان كلبها قد مضغها صبغت فمه بلون أرجواني غامق, فأعجبت باللون و اشترطت على من يريد أن ينال حظوة لديها أن يقدم لها ثوباً مصبوغاً بالأرجوان [٢٢٠].

غير أن أرجوان صور كان أشهر الأصبغة وأثمنها في العصور القديمة . ووجد في صور وصيدا نوع ممتاز من هذه الصدف ، وبما أن الفينيقيين كانوا حريصين على الاحتفاظ بما لديهم منه, فقد اكتشفوا هذا الصباغ و استوردوه من أماكن بعيدة مثل ميناء إسبارطة وجوار قرطاجة و أوتيكا . ولم يتاجروا بالصباغ نفسه وإنما بالأقمشة

---

[٢١٩]– الصفدي – هشام , تاريخ سورية القديم , ص ٦٠ .

[٢٢٠]– الصفدي– هشام , تايخ سورية القديم , دمشق ١٩٨١ , ص ٦٠ .

المصبوغة التي منها الصوف و الشعر و الكتان و القنب . ولا ندري ماذا كانت وظيفة السائل بالنسبة للحيوان الصدفي, ولكن قد يكون مازعمه البعض من أنه يفرزه بصورة طبيعية لتلوين المياه ليحمي نفسه ضد مهاجميه .

كان استخراج نقط السائل القليلة من الحيوان الصدفي و تقطير الصباغ يتطلبان أعمالاً واسعة وصعبة,ولذلك كان ثمنها مرتفعاً على الرغم من أنها لم تكن مادة محتكرة . وبما أن الأغنياء فقط كان بإمكانهم دفع ثمنها, فقد أصبحت الثياب الأرجوانية اللون عنوان التفوق . وأدت فيما بعد إلى التعبير المتعلق بالملوك (مولود في الأرجوان) . وفي العصور الهوميرية في القرن العاشر قبل الميلاد والهلنستية اقترنت الثياب الأرجوانية بالملكية و الملوك . وكيلوباترا ملكة مصر كانت مولعة بها, كما كانت هيلين في طروادة . وللدلالة على المكانة الدينية السامية, فقد لبس الكاهن الأعلى اليهودي لباساً أرجوانياً, وكذلك فعل رئيس كهان هيرابولس (منبج) في شمالي سورية و كاهن جوبيتر في مغنيزيا في آسية الصغرى . [٢٢١]

وعملية إعداد الصباغ بالضبط ليست معروفة من المصادر الفينيقية . ويصفها بليني, فيقول إنّ السمك الصدفي يؤخذ حياً ؛ لأنه عندما يموت يفرز هذا العصير و ينتزع السائل من أحد عروقه ويملح و يترك ثلاثة أيام منقوعاً, ثم يُغلى بحرارة معتدلة و أثناء غليانه تنزع الرغوة من وقت إلى آخر . وفي حوالي اليوم العاشر عندما تصبح محتويات القدر مائعة تغطس المادة النسيجية فيه, وتترك لامتصاص السائل مدة خمس ساعات, ثم تُسرّح, وتوضع ثانية حتى تتشرب اللون تماماً . ويعتبر الصباغ على أحسنه عندما يتخذ لون الدم المتجمد .

[٢٢١]– الصفدي – هشام , تاريخ سورية القديم , ص ٦٠ .

السفن الفينيقية

ظهرت السفن الفينيقية نحو عام ١٤٠٠ ق . م مرسومة على المباني الأثرية المصرية, وهي على شكل هلال له مؤخرة و مقدمة مرتفعة ومجذافان مرتفعان يستعملان كدفّة للسفينة, وفي أعلى الصاري شراع واحد مربع على امتداد برديتين و

كانت تسير أقدم السفن بواسطة الشراع و المجاذيف . وكانت تلك السفن عريضة في وسطها بحيث كانت حمولتها كبيرة دون أن تكون طويلة. [٢٢٢]

وتظهر السفن الفينيقية التجارية والحربية من العصور الأخيرة على الآثار الآشورية على نوعين (الشكل ١٢) .

النوع الأول يعالج أغراضاً حربية واضحة ويشغل مؤخرة السفينة الخلفية والمقدمة بارتفاع سطح الماء, حيث ينتظم البحارة في صفين فوق بعضهم البعض و يمتد المجدفون من السطح الداخلي نحو البحارة, وقد علقوا الدروع على السطح العلوي و ارتفعت معدات الشراع لفتح الشراع فوق السفينة .

أما النوع الثاني فربما كانت سفينة تجارية تظهر جندياً للدفاع, وكلا الطرفين كان مرتفعاً ويُوزّع عمال الزورق كما في النوع الأول, لكن فقدت معدات الشراع فوق هيكل السفينة .[٢٢٣]

وبناة السفن الفينيقيون هم الذين بدؤوا عادة بوضع مجذافين أو أكثر الواحد فوق الآخر, وكان الطابق السفلي من السفينة عادة يضم صفين كل منهما بأربعة أو خمسة مجاذيف, حيث كان عدد المجذفين كلهم يتراوح بين ستة عشر, وعشرين مجذف ، وكان الركاب يقيمون في الطابق الأعلى, وكانوا يستعملون عوداً واحداً للشراع و كان الشراع يُنشر عندما ترسو السفن أو حين يكون الطقس رديئاً. [٢٢٤]

---

[٢٢٢]–الصفدي – هشام , تاريخ سورية القديم , ص ٦٤ .

٢٢٣– حامدة – أحمد , (التجارة الكنعانية الفينيقية في البحر المتوسط) , مجلة دراسات تاريخية, العددان (٧٣–٧٤) , دمشق (٢٠٠١) , ص ٦٦ .

[٢٢٤] الصفدي – هشام , المرجع السابق , ص ٦٥ .

قوانين المعاملات التجارية البحرية :

يعتبر الفينيقيون أول من وضع قوانين المعاملات التجارية البحرية التي عُرفت باسم Rhodian-Law نسبة إلى جزيرة رودوس . وينص القانون على أن أية خسارة يتكبدها قبطان بحري نتيجة محاولاته لإنقاذ سفينته إذا تعرضت للخطر (غرق مثلاً) لا بد أن يتقاسمها جميع أصحاب البضائع الذين لهم بضائع في هذه السفينة بنسب معينة, ومثلاً إذا اضطر قبطان سفينة لرمي بضاعة أحد التجار في البحر في سبيل إنقاذه سفينة من غرق محتّم, فإن خسارة هذا التاجر يتحملها كل التجار الذين لهم بضاعة في السفينة و صاحب السفينة. و كان هذا القانون مطبقاً في كل أنحاء حوض البحر المتوسط ويُعرف في القانون البحري الحديث باسم Gross.Average[٢٢٥].

العملات الكنعانية (الفينيقية) :

بدأ استخدام العملة في التجارة في بلاد الإغريق في القرن السابع قبل الميلاد, وشاع في بداية القرن السادس ق . م . إلا أن الفينيقين لم يهتموا بفكرة استخدام العملة مبكراً رغم ميولهم و نزعاتهم التجارية القديمة و اتصالاتهم الكثيرة و احتكاكهم مع

[٢٢٥]- حامدة – أحمد , مجلة دارسات تاريخية , ص ٧٤ .

أقوام بدائية في معاملاتهم التجارية أكسبتهم مهارة في استخدام أسلوب المقايضة, حيث استورد الفينيقيون مقابل صادراتهم المعادن المختلفة مثل النحاس, والرصاص من قبرص, والفضة من إسبانيا, والذهب من المغرب, والقصدير والرصاص من جزر القصدير الواقعة جنوب غربي بريطانيا,[٢٢٦] والكتان من مصر .

وكان أول من ضرب العملة في الساحل الفينيقي مدينة صور في حوالي منتصف القرن الخامس ق . م فاتبعتها المدن الأخرى وقد صكت المحطات الفينيقية العملة في وقت لاحق. [٢٢٧] إذاً نستنتج بأنّ الفينيقيين قد اتّبعوا نظام المقايضة خلال ممارستهم لأعمالهم التجارية.

[٢٢٦] - مرعي – عيد , تاريخ سورية القديم , ص ٢٠٣ .

[٢٢٧]– حامدة – أحمد, التجارة الكنعانية (الفينيقية في البحر المتوسط), مجلة دراسات تاريخية, العددان (٧٣–٧٤) دمشق ٢٠٠١, ص ٧٥ .

الأساليب التجارية الفينيقية القديمة :

يبدو أن الفينيقيين لم يترددوا في ائتمان شركائهم على ديونهم في مختلف أماكن وجودهم . وكانت طريقة التعامل التجاري مع سكان السواحل الغربية في البحر المتوسط أو الجديدة تتم كما يلي :

ينزل التجّار الفينيقيون من سفنهم ما حملوه من بضائع ويضعونها على رمال الشاطئ مباشرة, في حين يراقب سكان الساحل ذلك من بعيد, ثم يعود التجّار إلى سفنهم مبتعدين بها قليلاً في البحر . وحين يطمئن السكان لذلك يقتربون من البضاعة ويتأملونها, ثم يضعون إلى جانبها قيمة لها ربما تكون مقداراً من الذهب أو مادة أخرى وينسحبون بعيداً . يعود بعدها الفينيقيون (ربما في الصباح التالي) لينظروا ما وضع زبائنهم من قيمة, فإن اقتنعوا بها كانوا يأخذونها وينصرفون وإن لم تعجبهم تركوا كل شيء في مكانه و ابتعدوا في البحر مرة أخرى . فيعود الشركاء أو الزبائن لزيادة شيء على القيمة وينسحبون مجددا . وربما يتكرر ذلك عدة مرات حتى إذا اقتنع الفينيقيون بهذا المقابل أخذوه وانصرفوا عائدين .

هذه التجارة الصامته كانت تستغرق في الغالب عدة أيام . وكما نرى كان الفينيقيون يقومون فيها بالمجازفة الأولى عندما يتركون بضائعهم على الساحل و يبتعدون .

هذه الأساليب القديمة قد حلّت محلها اليوم دراسات للأسواق, برع فيها اللبنانيون و لكنها أيضاً تتطلب بعضها المجازفات التمهيدية .

الفصل الخامس

العلاقات التجارية وتأثيرها على سورية ومصر

في عهد الدولة المصرية الحديثة

العلاقات التجارية وتأثيرها على سورية ومصر في عهد الدولة المصرية الحديثة

إنّ تبادل المنافع الاقتصادية منذ عصر ما قبل الأُسر, وحتى نهاية الدولة المصرية الوسطى (٢٠٥٠-١٧٨٨ ق.م)، كان السمة المميزة لعلاقات سورية ومصر . فموقع كل منهما جعل اتصال الواحد منهما بالآخر سهلاً بشكل نسبي ، كما إن حاجة كل منهما لمنتجات البلد الآخر عزز علاقتهما ، وكان سببا في قيامها منذ زمن مبكر تقريباً. وهكذا فقد لعبت التجارة بين البلدين دوراً رئيساً في هذه الفترة.ويؤكد على هذا الدور, الآثار المكتشفة في كل من مصر وسورية . وما قصة هروب سنوهى إلى فلسطين و التقائه بالذاهبين إلى مصر والعائدين منها إلا دلالة عظيمة على كثافة القوافل التي كانت تغدو بين البلدين .

وانتهى ذلك الطابع السلمي في علاقات البلدين مع نهاية الدولة الوسطى (في مصر) تقريباً ، حيث وقع في هذا الوقت ضغط الشعوب الهندو- أوروبية على منطقة الشرق الأدنى القديم من الشمال و الشمال الشرقي ، ومن المحتمل أن ضغوط تلك الشعوب أدى إلى احتلال مصر من قبل الهكسوس ، ومن هنا فصاعداً كان للحروب الدور الرئيس في علاقات معظم دول الشرق الأدنى القديم عامة ، وفي علاقة مصر بمنطقة سورية خاصة . فمن مرحلة احتلال مصر من قبل الهكسوس ، إلى مرحلة حروب التحرير التي قادها كل من سقنن رع وكامس ، ثم إلى مرحلة حماية الحدود التي اضطلع بمسؤوليتها الملك أحمس الأول .

ثم جاءت المرحلة التي بدأت فيها مصر تفكر في توسيع حدودها على حساب جيرانها و تشمل هذه المرحلة عهد تحوتمس الأول .

و آخر هذه المراحل ، التي لعبت فيها الحروب الدور الرئيس في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، كانت تلك الحملات العسكرية التي قادها تحوتمس الثالث وخلفاؤه من بعده ،

وحققوا نوعاً من السيطرة المصرية ، امتدت حتى الفرات شمالاً ،وهنا نحاول أن نلقي الضوء على علاقات مصر الأمنية و الاقتصادية و الدينية و الفنية مع سورية خلال عهد الدولة المصرية الحديثة .

ففيما يتعلق بالناحية الأمنية, فإننا نستنتج من علاقة مصر السياسية مع سورية عدداً من المبادئ كانت المحور الذي دارت حوله أحداث الشرق الأدنى القديم . و أول هذه المبادئ هو أن أمن سورية كان مرتبطاً بأمن مصر ارتباطاً وثيقاً والعكس صحيح . فالظروف التي أدت إلى احتلال مصر من قبل الهكسوس بعد فترة اللامركزية الثانية ، لم تكن إلا نتيجة مباشرة و غير مباشرة لاحتلال جزء كبير من سورية من قبل الشعوب الهندو . أوروبية ، حيث اجتاحت تلك الشعوب شمال سورية, وامتد تأثيرها إلى جنوب البلاد السورية . ومن المحتمل أن تلك الهجرات البشرية ، قد دفعت أمامها بعضاً من سكان المنطقة السورية الأموريين خاصة ، بعد أن خالطها كثير من شعوب تلك الهجرات الهندو– أوربية . ومن ثم تقدم هذا الخليط البشري ليحتل مصر ، منتهزاً الظروف السيئة التي كانت تمر بها. وهكذا تكون سورية ومصر قد تأثرتا بمدٍّ بشريٍّ واحد في زمن واحد . [٢٢٨]

كان هدف مصر الرئيسي من حروبها في آسيا ، تحقيق أمنها وسلامتها بالدرجة الأولى ، وذلك عن طريق :

أ . تشتيت شمل الهكسوس و الانتقام منهم ؛ لأنهم كانوا في نظر ولاة الأمر في مصر القديمة خطراً جسيماً يتهدد الحدود المصرية, وكان أول فراعنة الأسرة الثامنة عشر ، لا يرتاح لوجودهم في جنوب فلسطين ، حيث يغزوهم ، ويحاصرهم ، بقصد

[٢٢٨]-أحمد – محمود عبد الحميد , سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التاريخ , ص ١٩٠.

إبعادهم عن حدود مصر ما أمكن . وهكذا بقي أمر تشتيت الهكسوس و تدميرهم ، هدف الملك الأول من الأسرة الثامنة عشرة .

كذلك رأى المصريون القدماء أن سلامة مصر و أمنها يمكن أن يُصان عن طريق السعي الحثيث في أن تكون سورية ، منطقة حيطة أمنية لمصر ، خالية من أية قوى كبرى دخيلة معادية لمصر ، تستطيع أن تهدّد أمن مصر في مستقبل الأيام ، وقد أكدت الأحداث صدق هذه النظرية ، فقد بدأ تحوتمس الثالث عهده ، وكانت هناك ثورة في سورية ، قادها كل أمراء سورية تقريباً ، وكان هدفها قطعاً, الكيد لمصر . ومن المؤكد أن ميتاني القوية كانت وراء كل هذه الأحداث ، حيث قامت بتحريض أمراء سورية ضد مصر وملكها ، كما قامت بمدهم بالعتاد و الرجال .

ولذلك كان أحد أهداف تحوتمس الثالث الرئيسة من حروبه في سورية ، هو إجبار دولة ميتاني ، الكف عن الكيد لمصر ، وذلك عن طريق التدخل في شؤون سورية، و تحريض أمرائها على الثورة . ومن المؤكد أنه لولا تحوتمس الثالث وجيوشه الجرارة ؛ التي حملت على منطقة سورية سبع عشرة حملة ، لاحتلّت ميتاني كل سورية ، وصبغتها بصبغتها الحورية .

كما يبرهن الاجتياح الحثّي لسورية, عندما ضعفت مصر في عصر العمارنة, مدى أهمية سورية بالنسبة لمصر ، ومدى ارتباط أمن القطرين الواحد منهما بالآخر ، فقد بقي الحثيون قابعين خلف جبال طوروس . الحدود الطبيعية في شمال سورية . طالما كانت مصر قوية ، ولكن عندما لاح لهم أن مصر تعاني من أزمة داخلية طاحنة . ثورة أخناتون الدينية . وأنها أصبحت (أي مصر) في حالة من الضعف لا تُحسد عليها ، هاجموا ميتاني حليفة مصر, و قضوا عليها ، ومن ثم توغّلوا في سورية ، ليجعلوا من لبنان حداً جنوبياً لهم . وقد أجبر وضع الحثيين هذا الفرعون ستي الأول

و ابنه رعمسيس الثاني (من ملوك الأسرة التاسعة عشرة) على مهاجمة جنوب سورية, والاصطدام مع الحثيين لإخراجهم من سورية .

ويكفي أن نتذكر أن الطريق البرّي الواصل بين مصر و فلسطين الحالية ، قد شهد تسعة عشر جيشاً ، وكل جيش منها كان منطلقاً, إما من مصر إلى فلسطين أو منطلقاً من فلسطين إلى مصر ، لندرك مدى أهمية سورية لمصر ، و أهمية مصر لسورية من الناحية الأمنية .

إنّ الفوائد التي جنتها مصر من حروبها في آسيا ، كانت نتيجة فقط ، ولم تكن هدفاً ، ولا غاية . فمما لا شك فيه أن مصر استفادت فائدة لا تُقدّر من جراء سيطرتها على منطقة سورية . وكانت هذه السيطرة تعني وقتئذٍ سيطرة مصر التامة على كل الطرق والمحطات التجارية العالمية ، كما أن موقع سورية في وسط منطقة الشرق الأدنى القديم ، كان يُعتبر بحق من أهم و أخطر المواقع . ولذلك فقد هيأت لمصر هذه السيطرة أمناً و شهرة ومهابة ومركزاً ممتازاً بين دول المنطقة قاطبة ، سعت على أثره شعوبها إلى العاصمة طيبة ، حاملة الهدايا ، تخطب ودّ فرعونها .

أما على الصعيد الاقتصادي البحت ، فقد أدت سيطرة مصر على سورية إلى تدفق ثروات سورية ومنتجاتها المختلفة على مصر ، إمّا عن طريق الجزية التي تدفعها سورية لمصر ، أو عن طريق التجارة . ففيما يتعلق بالجزية ، فقد كانت تقدم سورية مختلف الأنواع من محاصيل الحقول و البساتين ، و العبيد و الخيول و العربات و قطعان الماشية ، والبخور ، والزيت ، والخمر ، والعسل ، والعاج ، ومعادن من بينها الذهب و النحاس ، و الفضة و شبه الأحجار الكريمة و خاصة اللازورد ، بالإضافة إلى منتجات مصنّعة مثل الأواني و الأباريق المصنوعة من الذهب و الفضة . [٢٢٩]

[٢٢٩]-. G.steindorff and C. Seel , When Egypt ruled the east , Chigago , 1963.p .115

أما أخشاب الأرز التي أصبحت في يوم من الأيام حكراً على فرعون ، وجزية سنوية تؤدى له . فقد جاء على لوحة جبل برقل (اللوحة من وضع تحوتمس الثالث) :

((وفي كل سنة يقطع من أجلي في جاهي) هي أشجار أرز لبنان الحقيقية . حيث كانت تُحضر إلى البلاط ... حيث تصل إلى العاصمة دون أن تمضي عليه المواسم هناك كل سنة باستمرار ، و عندما يأتي جيشي الذي هو الحامية في أولاز ullaza (فإنهم يحضرون الجزية) التي هي خشب انتصارات جلالتي ، من خلال سهول والدي (أمون ـ رع) الذي أعطاني الأقطار الأجنبية . إنّي لا أعطي أي شيء منه للآسيويين (لأنه) الخشب الذي يحبه))[٢٣٠]. ونتيجة لكل ما تقدم ذكره من ثروات متدفقة على مصر من سورية و غير سورية ، فقد قامت المنشآت العظيمة في مصر ، وكانت مزينة باللازورد و الذهب ، والفضة ، والأحجار الكريمة.[٢٣١] كما لعبت الأخشاب المستوردة من الخارج الدور الرئيس في صنع الأثاث المصري ، وكان أهمها أخشاب أشجار الصنوبر والأرز التي كانت تُجلب من سورية .

أما سورية فقد أُضفي عليها حالة من الأمن ، ما كانت تتحقق لولا الوجود المصري الفعّال في شرق البحر المتوسط . فمن الناحية الشمالية الشرقية انحسرت عنها الموجة الحورية ، إلى ما وراء نهر الفرات نهائياً ، وكان الفضل في هذا يعود للحملات العسكرية العديدة التي قام بها تحوتمس الثالث في المنطقة السورية عامة ، وفي منطقة الفرات خاصة . وبذلك تمتعت المنطقة بأمن و طمأنينة ، واستقرار

[٢٣٠]- Wilson.j.D-C The Barkal stela,A.N.E.T,P.240

[٢٣١] - بتري , الحياة الاجتماعية , ترجمة : حسن محمد جوهر , عبد المنعم عبد الحليم , القاهرة , ١٩٧٥ ,ص ٨٧

لم تشهده من قبل على الإطلاق . ففي أوغاريت مثلاً أهمل الأوغاريتيون سور مدينتهم الحصين ، و بنوا بيوتاً خارجه ، بحيث أصبحت المدينة بذلك مدينة مفتوحة ، وفي هذا دليل كبير ، على حالة الأمن التي سادت منطقة سورية[٢٣٢] في فترة الدولة المصرية الحديثة.

أما في مجال الدين:

فقد قُدّست آلهة مصر في سورية كما قدست آلهة سورية في مصر . ومن المؤكد أن هذا راجع إلى عمق الصلات التاريخية بين البلدين ، و إلى ازدياد عدد الجاليات المصرية المقيمة في سورية ، و الجاليات السورية المقيمة في مصر ، حيث وجدت تلك الجاليات أن مواصفات إله المنطقة الجديدة, هي نفسها مواصفات إلهها الأصلي ، وبذلك قدسته على أنه إلهها في منطقتها الأصلية ، فمثلاً قدست حاتحور على اعتبار أنها الإلهة بعلة ، و أن ست هو الإله بعل ، و أن رع هو شماش, و هكذا ، ففي مصر وجدنا الأسرى الآسيويين في عهد الأسرة الثامنة عشرة يتعبدون إلى ((حورم اخت)) على اعتبار أنه شبيه بإلههم ((حورون)) .

كما وجدنا في بيسان نصباً يؤرّخ بعهد تحوتمس الثالث, وقد نقش عليه المصري أمون م أوبت ووابنه يتعبدان إلى ميكال إله بيسان . [٢٣٣]

ومنذ أواخر الأسرة الثامنة عشرة وجد لبعل كهانته الخاصة في مصر و تدل الأسماء الشخصية المصرية الخاصة بهذا الإله مثل baal–khepeshef ((بعل على سيفه)) مناظرة للأسماء المصرية الطيبية ، مثل amon–her–khepeshef

---

[٢٣٢]-أحمد – محمود عبد الحميد , المرجع السابق , ص ١٩٦.

[٢٣٣]- Wilson,j . the Egyptians and the gods of Asia , A.N.E.T. p 249

مما يبين مدى ألفة هذا الإله المهاجر من سورية .

كما ساد في مصر اسم الآلهتين الآسيويتين عناتanath و عشترة . حيث اعتبرتا كآلهتي حرب ، وكان يطلق عليهما معاً ((درع الملك في مواجهة أعدائه)) واعتبرت كل من الآلهتين زوجة للإله ست ، و ابنة للإله رع . و قد وجد للإلهة عنات هيكل في طيبة يرجع إلى عهد تحوتمس الثالث . وقد صورت في هيئة سيدة تلبس التاج الأبيض وعلى جانبيه ريشتان و تتسلح بدرع و حربة و فأس قتال. [٢٣٤]

أما الإِلهة عشترة ، التي قدمت إلى مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، كانت تعدّ في منطقة سورية زوجة للإله بعل . وفي مصر أصبحت عشترة آلهة الشفاء ، وقد سميت (عشترة السورية). كما حملت ألقاب الآلهة مثل(سيدة السماء) و(سيدة الآلهة) . (الشكل ١٣)

كما كان لهذه الآلهة ارتباط خاص بالخيل و العربات . فقد وصف تحوتمس الرابع بأنه (قوي في العربة مثل عشترة) ، كما وجد نقش خاص بتحوتمس الرابع عليه صورة الإِلهة عشترة وهي على ظهر حصان . ويقول الأستاذ الدكتور أحمد بدوي: " إنّ كان لهذه الآلهة معبد في منف " [٢٣٥]

أما صورتها فكانت بهيئة امرأة ، برأس لبوة فوق قرص الشمس ، و غالباً ما صورت, وهي تقف فوق عربة حربية تجرّها جياد أربعة, و أحياناً فوق ظهر جواد . وقد وجد فيها المصريون صورة للإلهة ايزيس ، و حتحور ، ووصفوها بأنها ابنة للإله بتاح ، ويذكر الدكتور علي فهمي خشيم الكثير من الآلهة السورية في مصر و منهم الإله قدش التي كانت تدعى (سيدة الأرباب أجمعين عين رع التي لا ثاني لهما), وكانت ربّة الجمال تصور على هيئة امرأة عارية . وكذلك يذكر رشت وهو معبود (سوري

---

[٢٣٤]– الموسوعة المصرية ، مجموعة من المؤلفين , القاهرة , ص ٣١٤ .

٢٣٥-بدوي – أحمد ، في موكب الشمس . ج ٢ القاهرة ، ١٩٥٠ ص ٤٢٤ .

) يوصف في النصوص المصرية بأنه(صاحب القوة المضاعفة بين جماعة الأرباب الإله العظيم سيد السماء)(حاكم الأرباب) و كان مركز عبادته في (حت رشب ؛ إله الأوبئة في سورية), وفي الدلتا كان يُصور على شكل رجل محارب [٢٣٦]

وفي منطقة سورية قدّس السوريون الاِلهة المصرية كثيراً, ففي أوغاريت وُجد نصّ يقدس الاِله أمون جاء فيه ((إنّي انحني أمام أمون وأمام الاِلهة المصرية التي تحمي لفحات الشمس سيدتي ومليكتي العظيمة . [٢٣٧]

كما جاء ذكر الإله حورس في نصوص هذه المدينة أيضاً ... وفي بيسان بفلسطين عثر على نصب ، عليه صورة لمهندس معماري مصري يدعى (آمن م أوبت) ولابنٍ له ، و هما يتعبدان إلى الإله ميكال (Mekal) إله المنطقة .

وقد أملت حالة الانتفاع بمنتجات المنطقة السورية (أخشاب منطقة الساحل خاصة) أن يقدس المصريون المسافرون إليها في بعثات تجارية – آلهة هذه المناطق ؛ لأنّ نجاحهم في استثمار منتجاتها ، وقيامهم برحلات مثمرة ، إنما يعتمد على الإرادة الطيبة و المستمرة لها ، و التي يمكن استجلابها عن طريق النذور المقدمة لها ، و عن طريق إقامة معبد خاص بعبادتها . وهذا ما يفسر لنا سر وجود المعبد المصري في بيبلوس مثلا منذ عهد مبكر. [٢٣٨]

أما في مجال الكتابة :

إنّ فضل الفينيقيين على الإنسانية لا يتمثل في ميدان المغامرات البحرية فحسب ، ولا في ميدان الفنون و الصناعات بل في ميدان الثقافة و الفكر ؛ ذلك أن السفن

٢٣٦- خشيم – علي فهمي , آلهة مصر العربية , ج١ القاهرة ، ١٩٩٨ ص ٢٨٢ , ٢٨٣

[٢٣٧]سعادة – جبرائيل , رأس شمرة (آثار أوغاريت), دمشق , ١٩٥٤ .ص٧٤

[٢٣٨]- أحمد – محمود عبدالحميد , سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التاريخ , ص ٢٠٦ .

الفينيقية لم تكن تحمل البضائع فحسب بل كانت تحمل المؤثرات الثقافية التي كان التجار الفينيقيون والمستعمرون يحملونها معهم أينما ذهبوا .

لم يختلف الباحثون في التراث القديم في موضوع مثل ما اختلفوا في موضوع الأبجدية الفينيقية و أصلها, و كان هنالك رأيان في هذا الموضوع .

الرأي الأول : يقول بأن الفينيقيين أبدعوا هذه الأبجدية منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد حينما كانوا لا يزالون يستعملون القلم المسماري, وبذلك يكون قد استفادوا من الكتابات التي كانت شائعة في بابل و آشور .

و الرأي الثاني ذهب إليه السير آرثر إيفانز و هو أن الأبجدية أصلها من بحر إيجه فقد وجد في جزيرة كريت قالب من الصلصال محتفظاً بنقوش على سطور متوازية تشبه الكتابة الفينيقية ، مما يدل على أن الفينيقيين قد استمدوا أبجديتهم من هذه الناحية. و لكن النقوش الإيجية لم تُحل رموزها بعد ، فمن غير المعقول الادعاء بأن هذه النقوش مكتوبة بالطريقة الأبجدية أو أنها تشبه الأبجدية الإغريقية.

و لكن كشفاً أثرياً هاماً قلب هذا الآراء رأساً على عقب, فقد وجد المنقبون في أطلال مدينة جبيل(بيبلوس) الفينيقية القديمة نصّاً فينيقياً بالغ الخطورة يتألف من خمسة أسطر و حروفه أقدم الحروف الفينيقية التي اكتشفت ، كما وجدت نقوش أخرى مماثلة في منطقة أضنة (مدينة في تركيا حالياً) تتألف من واحد و تسعين سطراً كتبه أحد الملوك الفينيقيين في القرن التاسع عشر ق.م .

وقد ظهر من دراسة هذه النصوص أن أصل الأبجدية الفينيقية التي غيرت معالم الحضارة قد استمدت من مصدر أشد قرباً من بلاد الشام ، استمدت من مصر و من كتابتها الهيروغليفية . فالمعروف أن المصريين و السومريين أبدعوا الكتابة قبل أن يبدعها الفينيقيون بنحو ألفي سنة ، وكانت هذه الكتابة أول الأمر تصويرية مجرد

تصوير للأشياء المعبر عنها ، وكانت تلك هي الخطوة الأولى و كانت الخطوة الثانية اقتران صوت معين و نطق معين بصورة معينة دون ارتباط بين هذا النطق و بين ما كانت الصورة تعبر عنه من قبل. [٢٣٩]

ثم مضى المصريون إلى أبعد من هذا بأن خصّصوا بعض هذه العلامات لتدل على الحروف الجامدة, وجعلوا هذه الحروف تمثل صوت الكلمة الأولى التي اقتبست منها ، ولكن الكتّاب المحترفين الذين كانوا يحتكرون هذه الصناعة, ويحتكرون أسرارها لم يغيروا من طريقتهم القديمة المعقدة, ولم يعتمدوا على هذه الأبجدية في التعبير عما يريدون, حتى أصبحت هذه الكتابة أشبه بالألغاز لا يفهمها إلا من يتقنها أو يتضلّع فيها .

وكان أهل سيناء يخضعون لمصر ، وكانوا يحتفظون بلغتهم الكنعانية ، وكانت الدولة تستخدم مترجمين للتفاهم مع البدو ، وفي أثناء توسع المصريين في عملية الكشف عن المعادن في سيناء, استطاع أحد أهل سيناء أن يتعلم من أحد الكتاب المصريين المبدأ الذي تقوم عليه الأبجدية المصرية ، فبدأ يقلد الهيروغليفية المصرية ويكتبها رأسياً وليس أفقياً ، ولكنه بدأ يعطي علامات أول الكلم لأسماء كنعانية فمثلاً:

رأس الثور : أصبحت ألفا .

والمنزل مثلا : بيت .

وشجرة الشوك : دردار .

والشخص مرفوع الذراعين : هلل .

والماء : ميم .

و السنة : شين .

---

[٢٣٩]- شكري محمد أنور , محمود– حسن , حضارة مصر الشرق القديم , دار مصر , القاهرة , ص ٤٠١ .

ولم تحوِ الكتابة المصرية علامات متحركة ، فقلّد المخترع الطريقة المصرية, ولم يسجل الأصوات إنما سجل الحروف الجامدة ، كما قلد هذا المخترع الطريقة المصرية في الكتابة ، فإذا كانت القوائم عمودية كتبت من اليمين إلى الشمال, و كانت العلامات في هذه المرحلة تنقش على الصفحة دون أدنى ترتيب . ويبدو أن هذا الرجل أخذ يجرب الكتابة على البردي, فبدأ يعطي الحروف شكلاً أكثر استدارةً, وهو يكتبها بالمداد, فبدأ يختزل من صورة هذه الحروف, فاختزل ثمانية عشر منها,ثم مضى بالتطور إلى أبعد من هذا ، فبدأ يعطي هذه الحروف أول حرف من الكلمة التي يمثلها, فالعلامة التي تمثل بيتاً أصبحت (ب) والتي تمثل يدا أصبحت (ي) و التي تمثل الماء أصبحت (م) و التي تمثل الرأس أصبحت (ر). [٢٤٠]
و كان الفينيقيون يتاجرون مع سيناء, فاستعاروا هذه الحروف الجديدة, وأضافوا إليها و خلقوا منها (٢٢) حرفاً جامداً لا متحرك فيها ، فكان هذا أعظم تبادل ثقافي في تاريخ الإنسانية .[٢٤١]

أما في مجال الفن :

فنتيجة للصلات التجارية بين مصر وفينيقية, فقد وجدت المصنوعات المصرية من مجوهرات ، وقاشاني و جعارين و تمائم طريقها إلى سورية . كما جلب الموظفون المصريون المقيمون في سورية أحسن المصنوعات الحرفية من مصر و ذلك لاستعمالهم الشخصي في منطقة أقامتهم الجديدة (سورية) . وقد وجدت كل هذه الأشياء قبولاً حسناً في سورية وأصبحت تُقلّد .

كما أن الفنان المصري اطّلع على المنتجات السورية الفنية القادمة إلى مصر عن طريق التجارة أو الجزية السنوية و تأثّر بها .

---

[٢٤٠]– شكري – محمد أنور , محمود– حسن , المرجع السابق , ص ٤٠٢ .
[٢٤١]- شكري – محمد أنور , المرجع السابق , ص ٤٠٢ .

وقد حصل نتيجة لذلك تفاعل مباشر بين فنون مصر القديمة, وفنون الأمم التي اتصلت بها, فتأثر الفنان المصري بفنون تلك الأمم . وهناك الكثير من الأمثلة التي تدل على ذلك, فمثلاً في أوغاريت وجدت طاساً قد طليت بطبقة زجاجية سماوية اللون, و قد رسمت من الداخل زهرتان من نبات اللوتس, و سمكتان تحمل كل منهما برعماً لزهرة اللوتس .

و كذلك وُجدت في أوغاريت (طاسة) (الشكل ١٤) من الخزف زُيّن سطحها الخارجي بكامله بوريقات زهرة اللوتس التي لونت باللون الأخضر والرمادي واللون الفاتح والأزرق, وفي حفريات أوغاريت اكتشفت في القصر الملكي بأوغاريت وجه خارجي لمنضدة مستديرة الشكل مصنوع من صفائح العاج الرقيق (الشكل ١٥), ويمثل التأثير المصري في هذا الأثر بوجود عدة أشكال لأبي الهول و قد وضعت قائمتيه الأماميتين فوق ظهر أسد .

وكذلك اكتشف في أوغاريت لوح عاجي زُيّن كل من طرفيه بغصن نباتي ينتهي بزهرة اللوتس, كما أن ألبسة الأشخاص وطريقة تصفيف شعورهم هي مصرية خالصة . كما أن الأوضاع التي رسم بها الأشخاص كانت متأثرة حداً إلى حد كبير بأوضاع مماثلة كانت سائدة في مصر. مثل منظر أمير وأميرة في موقف حب, و منظر ربّة أوغاريت الكبرى مصورة بأسلوب مصري حيث ظهرت الآلهة الأوغاريتية شبيهة بالآلهة حاتحور. [٢٤٢]

إذاً العناصر المستعارة من الفن المصري و المستخدمة في الآثار السورية كثيرة جداً لدرجة يصعب حصرها ، و بالمقابل فإن المنتجات السورية ترى بوضوح في القبور المصرية . ولكنها محدودة وتحوي زخارف أكثر من مثيلاتها المصرية

[٢٤٢]. أحمد – محمود عبد الحميد , سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التاريخ , ص ٢٠٩ .

كما لا يخلو قبر عظيم في مصر من صور الأسرى, والصناع السوريين من الرجال, والعجائز ذوي اللحى . وقد ظهر التأثير السوري في الآثار التي تعود إلى بداية حكم تحوتمس الثالث .

وقد اتجهت المنتجات الفنية في فترة الدولة الحديثة اتجاه التعبير عن الترف والتحرر من التقاليد الفنية القديمة, وهذا يعود إلى اتساع الإمبراطورية المصرية إلى أقصى ، مدى لها في الشمال و الجنوب حيث عكس كل هذا على مصر رخاء عاماً, وعلى منتجاتها الفنية التي عبّرت عن النعيم, ورغد العيش ووفرة الخيرات القادمة إلى البلاد . وفي هذه الفترة حاول الفنان النزوع إلى الواقعية مع المحافظة على بعض التقاليد القديمة . وأخيراً فإنّ كل الآثار المصرية المكتشفة في سورية وما يقابلها من آثار سورية مكتشفة في مصر تعتبر دليلاً قوياً على عمق الصلات التي قامت بين مصر و فينيقيا قديماً.

الخاتمة :

قدّمت الشعوب العربية القديمة الكثير من المنجزات الحضارية, والعطاءات الفكرية لشعوب العالم, ولاسيّما الشعب الكنعاني الرائد في عالم التجارة البحرية؛ الذي جاب البحار والمحيطات حاملاً أبجديته, وفكره, ومنتوجاته الصناعية, والأقمشة الأرجوانية, والكثير من البضائع الأخرى ؛ التي يصعب على شعوب حوض المتوسط الحصول عليها إلّا عن طريقهم .

وقد حاولت من خلال كتابة فصول هذا البحث أن أعرض تاريخ العلاقات التجارية الفينيقية المصرية منذ أقدم العصور إلى نهاية الدولة المصرية الحديثة, حيث تبيّن أنّ العلاقات قد بدأت بينهم منذ عصور ما قبل التاريخ,تدلّ عليها الآثار المكتشفة في كل من مصر وفينيقيا,ولاسيما ما عُثر على جذوع أشجار الأرز الفينيقي في مقابر الأسرة الأولى, والثانية في مصر, و ما يؤكّد ذلك النقوش الكتابية على حجر بالرمو التي تحوي نصّاً كتابيّاً يشير إلى إحضار الفرعون المصري (سنفرو) من الأسرة الرابعة أربعين سفينة من سورية مشحونة بخشب الأرز, ودلّت عليها أيضاً رسوم تمثّل سفناً مصرية عائدة من الساحل الفينيقي إلى مصر في عصر الأسرة

الخامسة, وهي محمّلة ببضائع فينيقية, وكذلك بقيت العلاقات مستمرة خلال عصر الدولة الوسطى (الأسرتين ١١, ١٢), ثم بعد ذلك وعلى الرغم من حكم الهكسوس لمصر خلال القرنين (١٨, ١٧), فقد بقيت العلاقات التجارية مستمرّة فيما بينها حيث أدخل الهكسوس العربات الحربية, والخيول, والكثير من الأسلحة الحربية إلى مصر, إضافةً إلى التأثّر الديني فيما بينهم من خلال تقديسهم لآلهة بعضهم .

وخلال عهد الدولة المصرية الحديثة كانت العلاقات أقوى ما تكون فيما بينهم ؛ حيث عُدّت فينيقيا في تلك الفترة محمية مصرية إذ اشتركتا في الموارد المتوفرة في كلّ بلدٍ منهما, ولاسيما حاجة مصر الماسة إلى أخشاب فينيقيا لبناء أسطولٍ قوي يكون عمادها في فرض هيمنتها على الدول المنافسة لها, وفي المقابل كانت فينيقيا بحاجة إلى الكثير من الموارد الغذائية, وخاصة القمح الذي تستورده من مصر.

ولكنّ هذه العلاقات شابها الضعف بسبب تراجع النفوذ المصري خلال عصر العمارنة, وهذا ما تبيّن من خلال الرسائل المرسلة من ملوك وأمراء ممالك فينيقيا إلى الفرعونين المصريين,امنحوتب الثالث والرابع . وكذلك ما تؤكّده لنا رحلة وإن أمون خلال عصر الأسرة العشرين في مصر .

وعلى كل حال, فقد ارتبط أمن كلٍّ من مصر وفينيقيا الواحدة بالأخرى ارتباطاً وثيقاً, حيث استفادت مصر كثيراً من موقع سورية الاستراتيجي, كما استفادت سورية من مصر القوية, حيث حققت الاستقرار والأمن, وبذلك أصبحت طرقها التجارية البرّية والبحرية مطروقة بأمانٍ كبير, مما أدى إلى ازدهارها الاقتصادي, وتأثّر كل منهما بالآخر في مجال الدين, والأدب, والفنّ .

وفي النهاية مهما حاول الباحث أن يتقصّى الحقائق التاريخية, فإنّه لن يصل إلى نهاية اكتشاف التاريخ القديم ؛ لأنّ البحث العلمي لا يعطي التاريخ القديم حقّه ما دامت أعمال البحث والتنقيب مستمرّة .

الخرائط والصور :

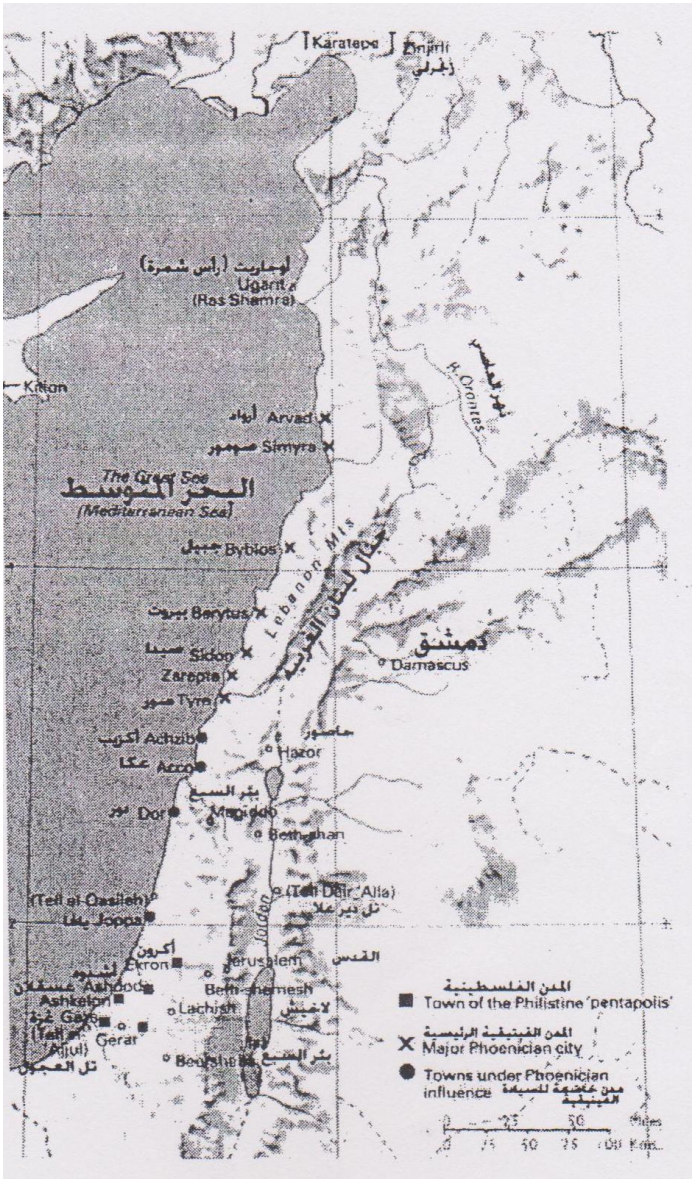

مصوّر فينيقيا[٢٤٣]

الشكل (١)

مصوّر مصر[٢٤٤]

الشكل (٢)

---

[٢٤٣] - مرعي- عيد , تاريخ سورية القديم , (٣٠٠٠- ٣٣٣ ق.م) ص ٢١٠.

[٢٤٤] - أحمد- محمود عبد الحميد , دراسات في تاريخ مصر الفرعونية , ص ١٣٣ .

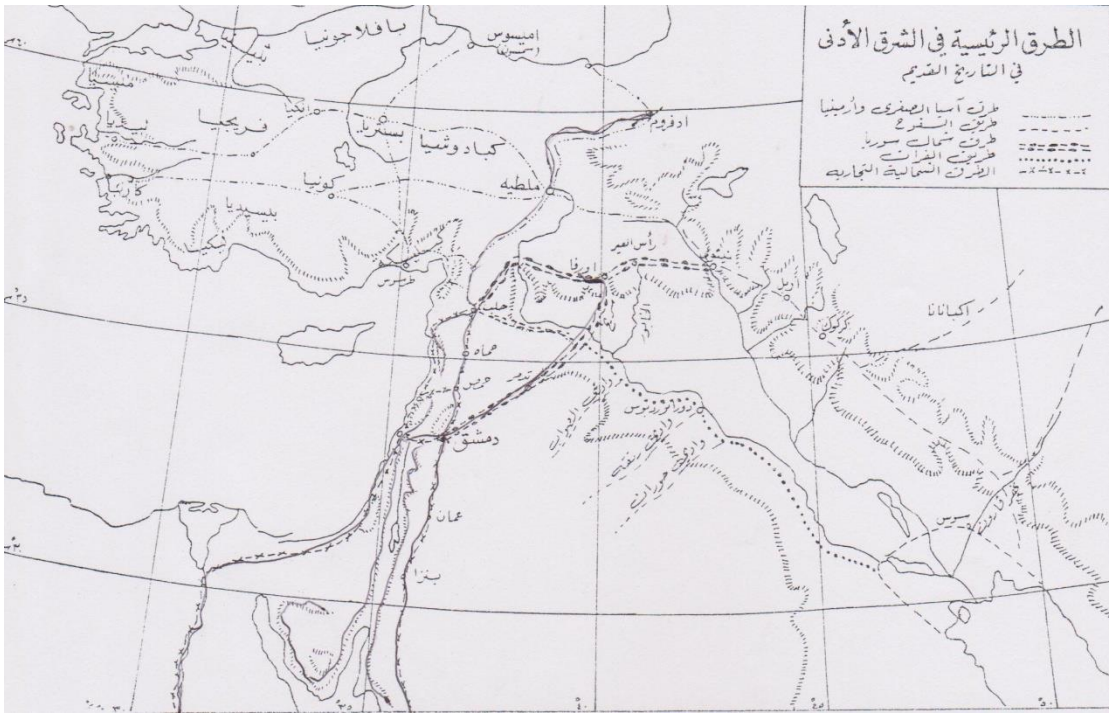

الطرق الرئيسية في الشرق الأدنى[٢٤٥]

الشكل (٣)

[٢٤٥] - غلاب – محمد السيد , الساحل الفينيقي وظهيرة في التاريخ والجغرافيا , ص ٤٥٢ .

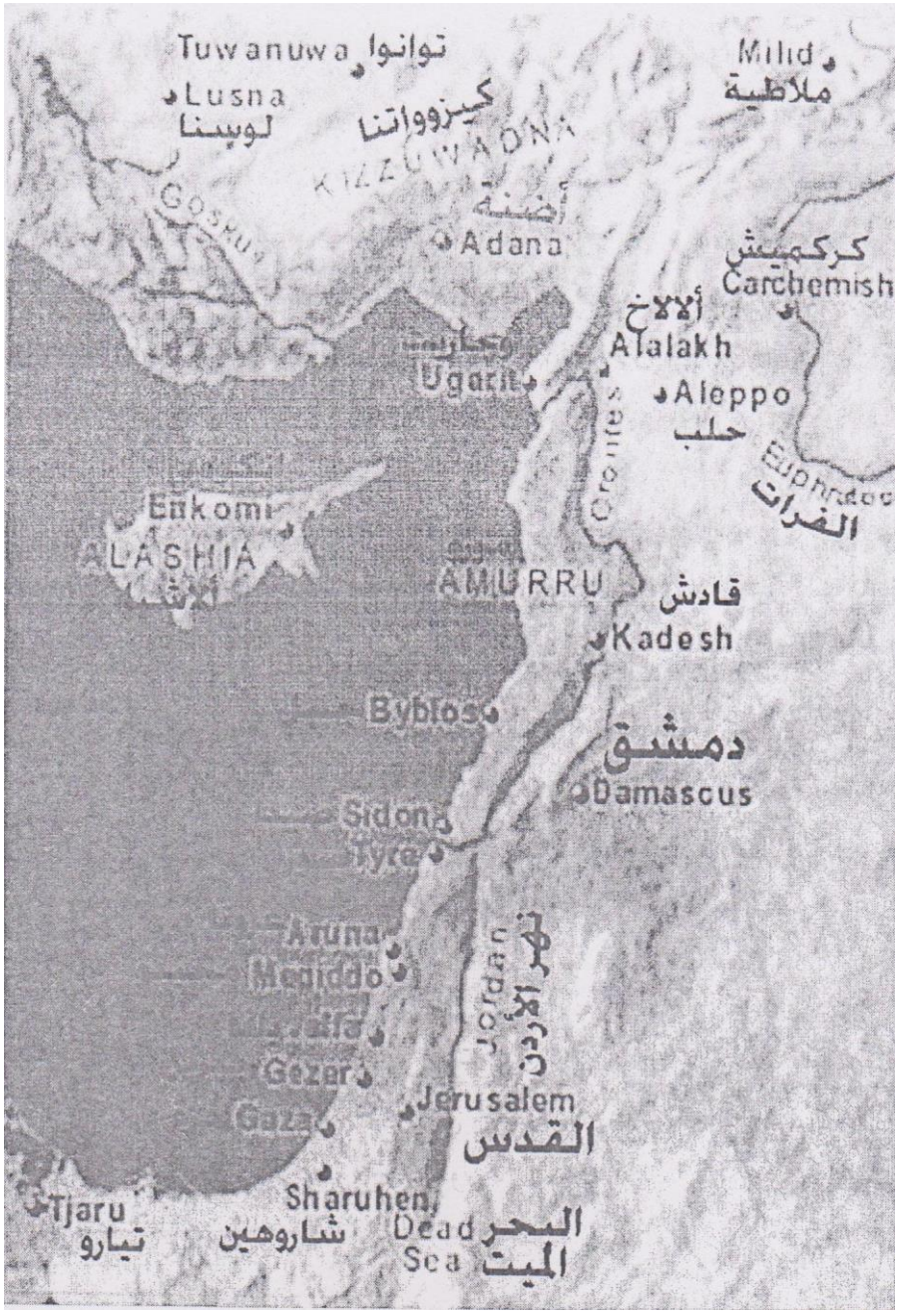

المدن الفينيقية[٢٤٦]

الشكل (٤)

[٢٤٦] مرعي- عيد , المرجع السابق , ص ١١٢ .

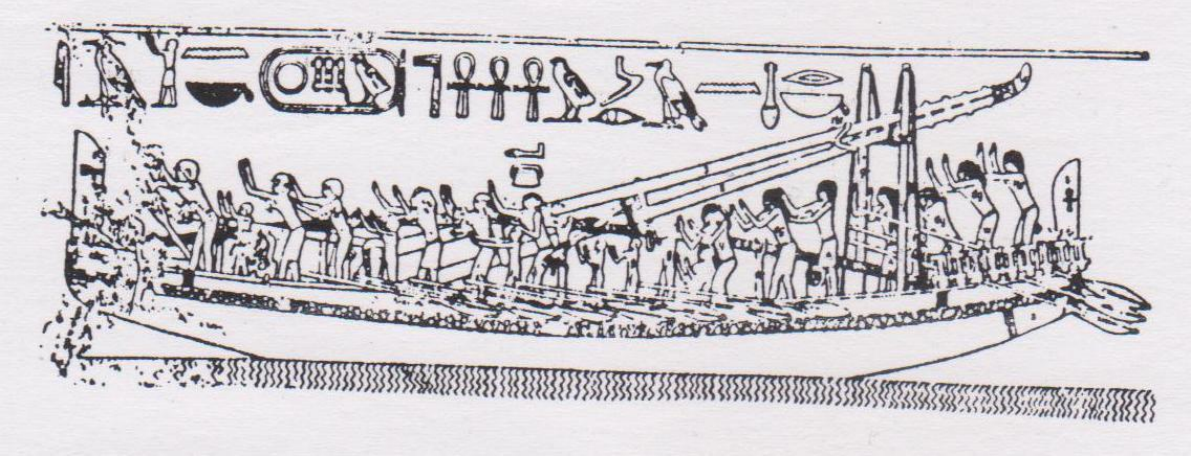

منظر يتضمن قدوم بعض العناصر البشرية من سورية إلى مصر على سفن مصرية في عهد الملك ساحورع الشكل (٥)

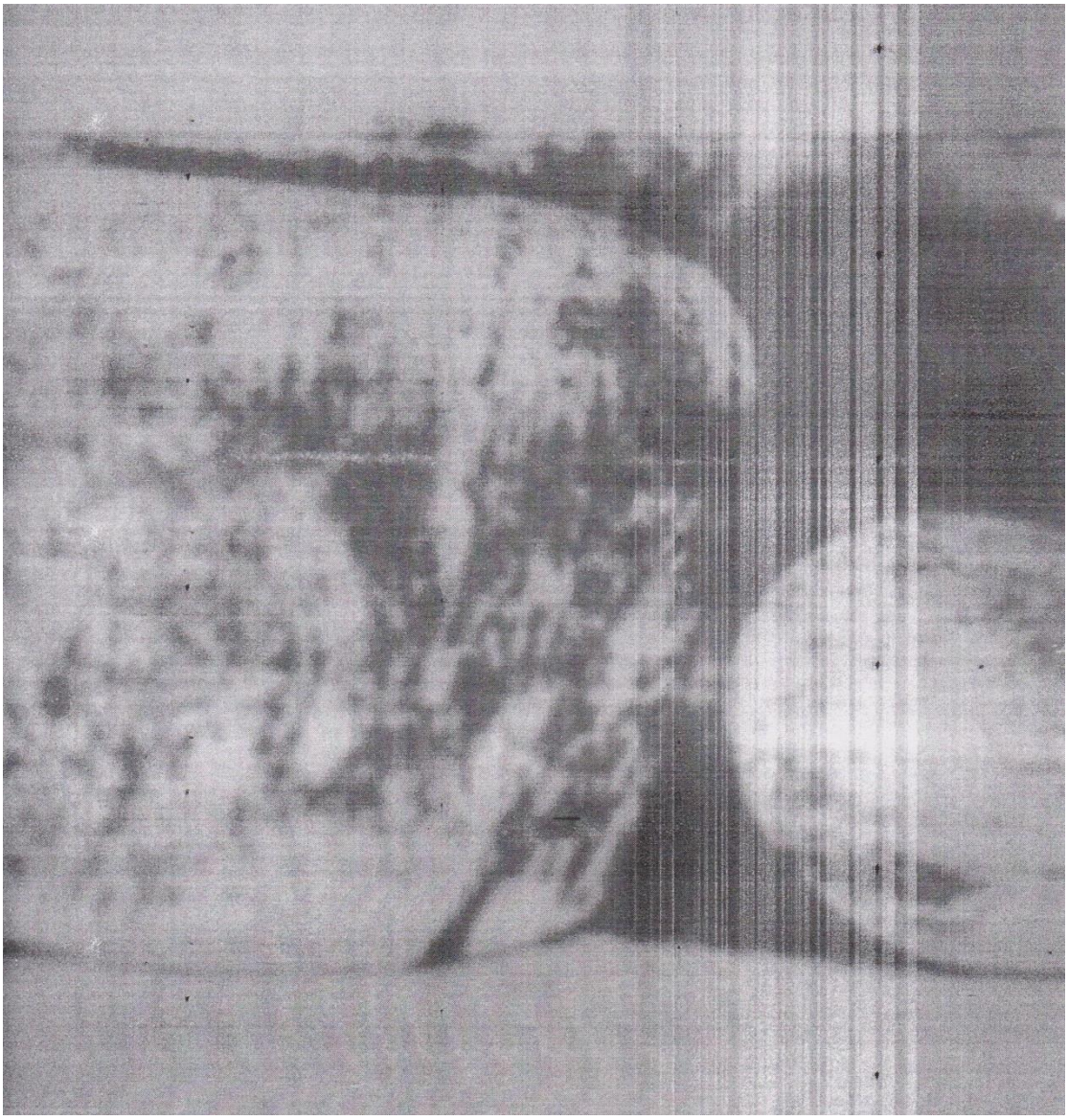

مزهرية أمنمحات الرابع

الشكل (٦)

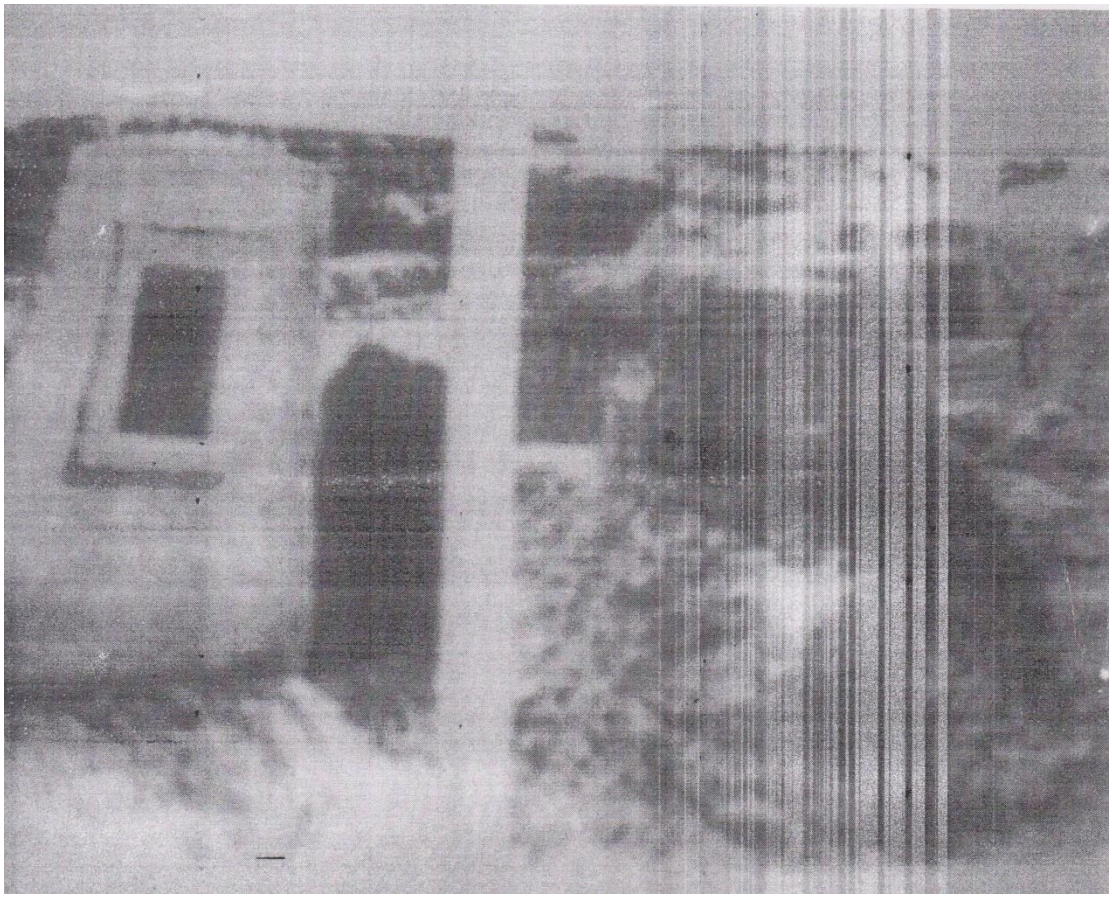

معبد المسلات في جبيل

الشكل (٧)

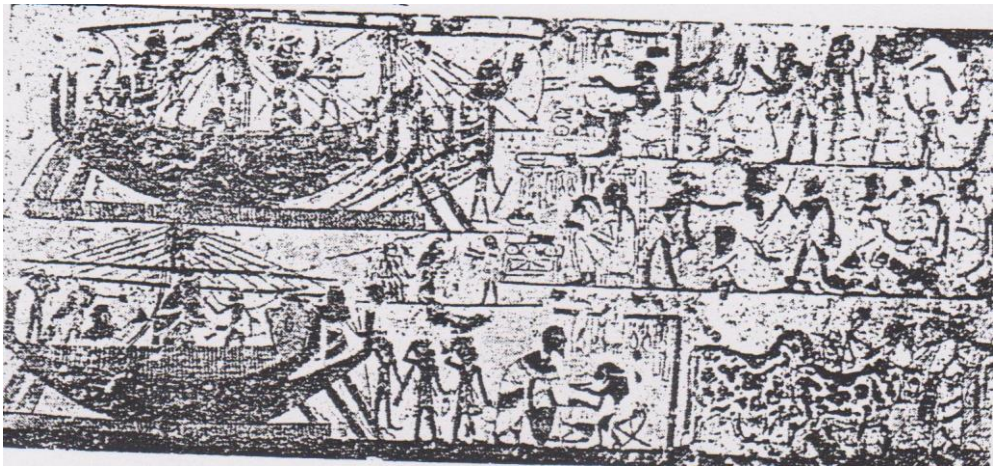

التبادل التجاري بين المصريين والسوريين على جدران المقبرة رقم (١٦٢) في طيبة في عصر الدولة الحديثة (مقبرة قن أمون)

مندوبو شعوب البحر المتوسط يحضرون الهدايا

على جدران مقابر الأسرة (١٨) في مصر

الشكل (٨)

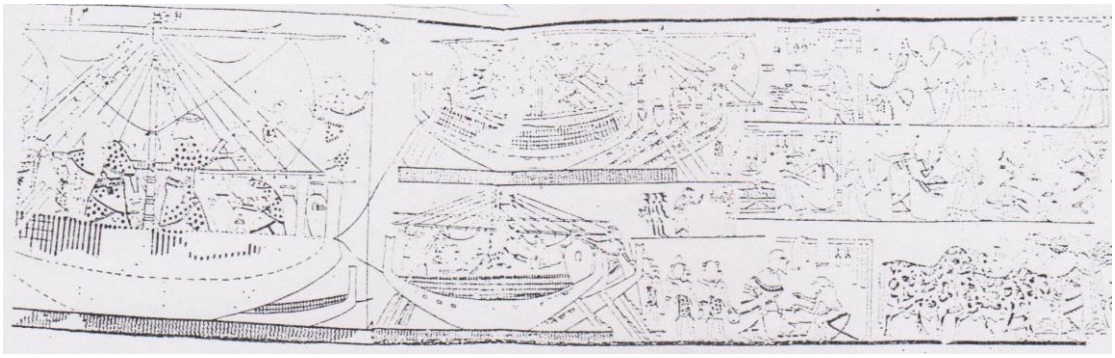

سفن تجارية سورية من المقبرة رقم ١٦٢ في طيبة

مقبرة قن آمون

الشكل (٩)

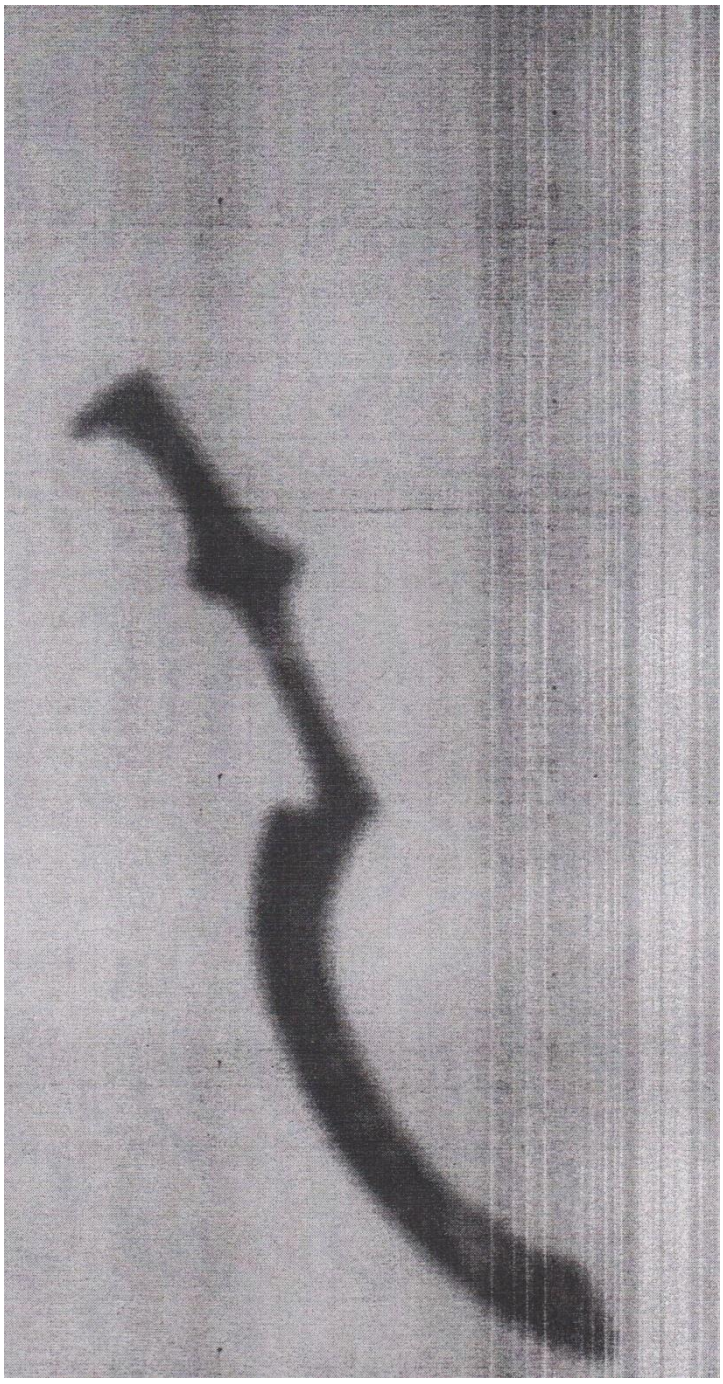

سيف مرنبتاح عُثر عليه في أوغاريت
الشكل (١٠)

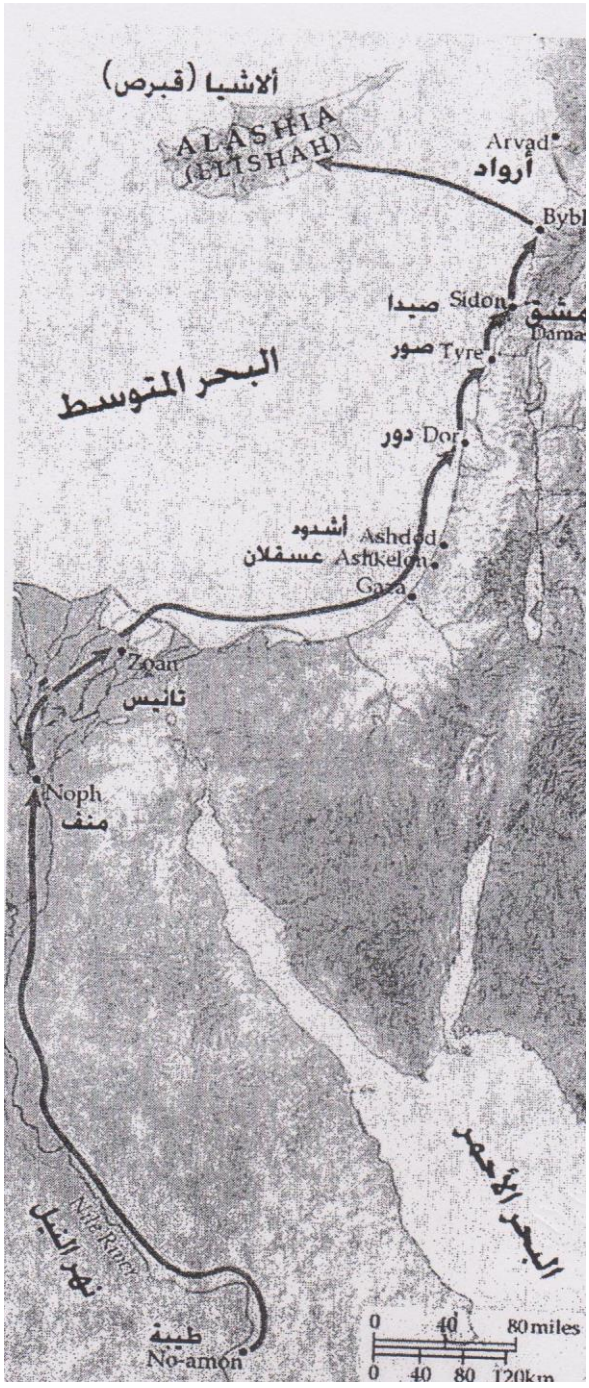

رحلة الكاهن المصري وينامون إلى الساحل السوري[٢٤٧]

الشكل (١١)

[٢٤٧] - مرعي- عيد , المرجع السابق , ص ٢٢٠ .

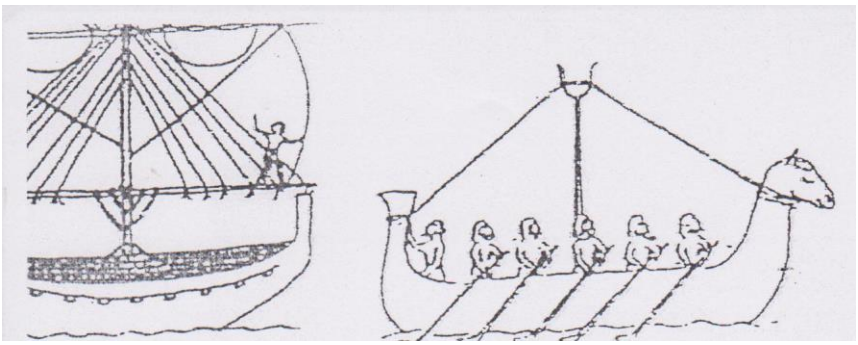

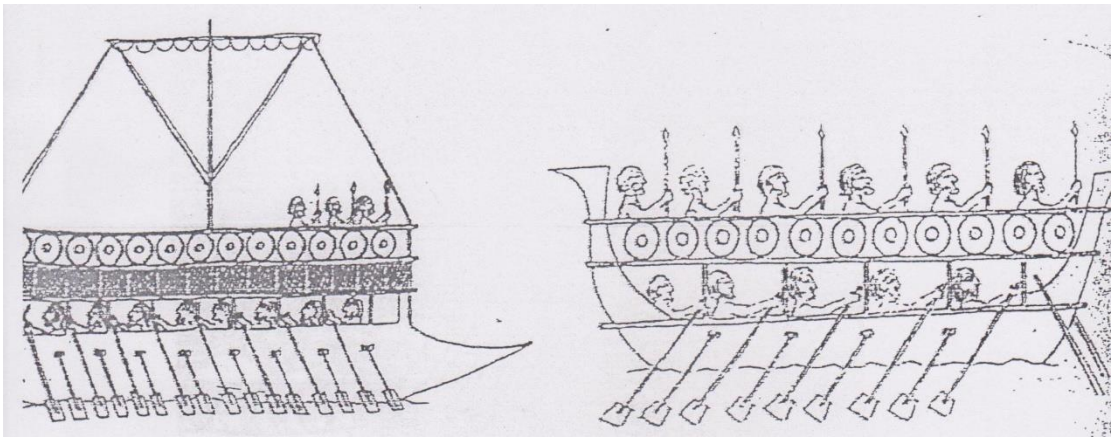

السفن الفينيقية

الشكل (١٢)

إحدى آلهات الخصب في عُبدت في فينيقيا

الشكل (١٣)

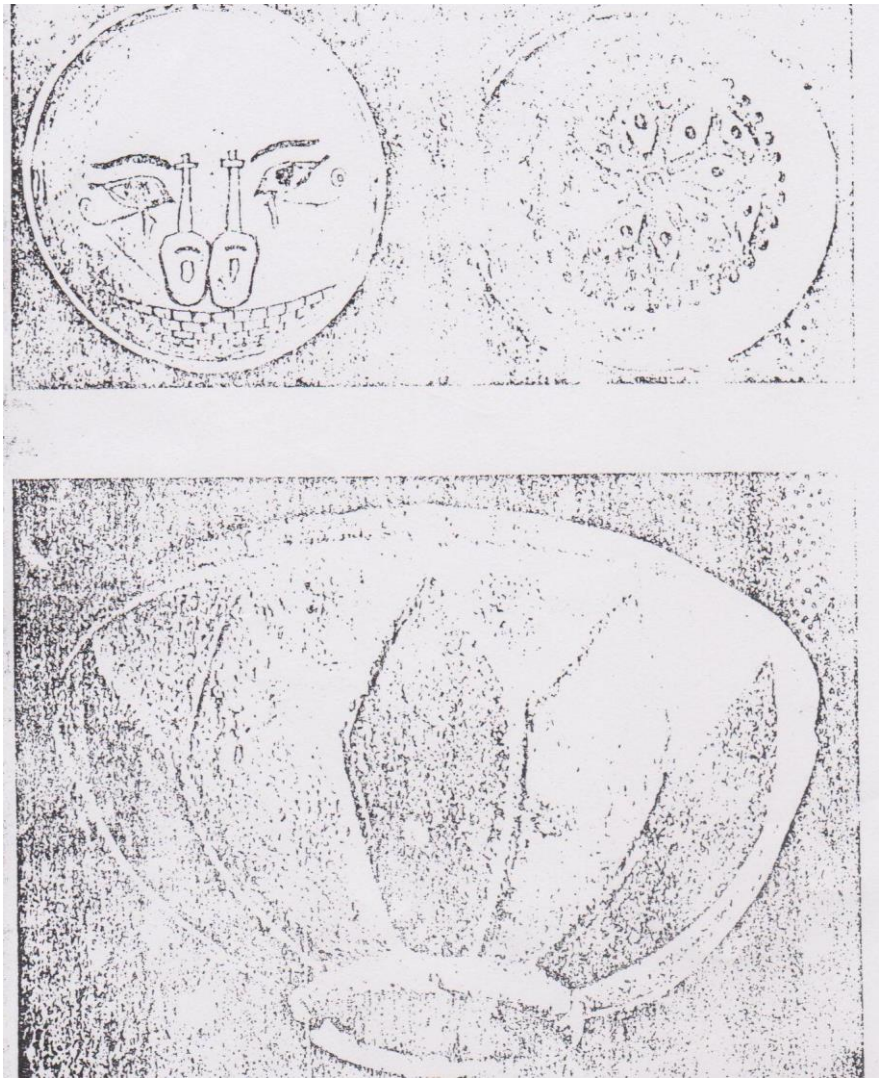

طاسات خزفية من أوغاريت

الشكل (١٤)

المختصرات

A . N E . T . Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Edited by Pritchard, J , E, Princeton, 1955

B . A . R., Breasted, J, H., Ancient Records of Egypt. 5 Vols, Chicag 1906 – 1907.

المصادر والمراجع العربية :

١-أحمد- محمود عبد الحميد, سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التاريخ, مطبعة ابن حيان, دمشق, ١٩٨٥ .

٢- احمد- محمود عبد الحميد : الهجرات العربية القديمة, دار طلاس, ط١, دمشق, ١٩٨٨.

٣-احمد- محمود عبدالحميد, دراسات في تاريخ مصر الفرعونية, دار الكتاب, دمشق, ١٩٩٤ .

٤-بدوي – أحمد ود, كيس هرمن : المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة, القاهرة, ١٩٥٨.

٥-بدوي- أحمد, في موكب الشمس, ج ٢, القاهرة, ١٩٥٠ .

٦-بيومي- محمد مهران, المدن الفينيقية تاريخ, دار النهضة العربية, بيروت.

٧- بيومي- محمد مهران, حركات التحرير في مصر القديمة, دار المعارف, القاهرة,١٩٧٦ .

٨-بيومي – محمد مهران, المدن الفينيقية, تاريخ لبنان القديم, بيرت.

٩-حامدة- أحمد, المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية, دمشق, ١٩٩٤

١٠- حجازي- حسين, جزيرة أرواد والجذور الفينيقية, دار الأماني, سورية بلاتا .

١١- حماد – حسين فهد, موسوعة الآثار التاريخية, دار أسامة, الأردن, ٢٠٠٣ .

١٢-الحويلى, سليمان حامد سليمان,مصر وبلاد الساحل الفينيقي خلال عصر الدولة الحديثة, القاهرة, ٢٠٠٠.

١٣- الخوري – منير : صيدا عبر حقب التاريخ, بيروت,١٩٦٦ .

١٤- الخازن – نسيبه وهيبه : أوغاريت, بيروت,١٩٦١ .

١٥- الخطيب – محمد : مصر أيام الفراعنة, دار العلاء, دمشق, ٢٠٠١ .

١٦-- خشيم- *علي فهمي*,قآلهة مصر العربية, ج ١, القاهرة,١٩٩٨

١٧-- زايد- عبدالحميد, مصر الخالدة, القاهرة,بلاتا.

١٨- سليم- أحمد أمين, تاريخ الشرق الأدنى القديم في مصر وسورية, بيروت .بلا,تا.

١٩- سعادة جبرائيل, رأس الشمرا آثار أوغاريت, دمشق,١٩٥٤ .

٢٠- السيد – رمضان, تاريخ مصر الفرعونية, ج ٢, وزارة الثقافة, القاهرة ،بلاتا .

٢٢-- شارف- ألكسندر, تاريخ مصر, القاهرة, ١٩٦٠.

٢٣- شكري- محمد أنور, محمود حسن, حضارة مصر الشرق القديم, دار مصر,القاهرة,بلا تا.

٢٤- شكري- محمد أنور, العمارة في مصر القديمة, القاهرة,١٩٧٠ .

٢٥- شيخو – لويس : بيروت تاريخها وآثارها, مطبعة الأباء اليسوعيين, بيروت,١٩٢٧ .

٢٦- صالح – عبدالعزيز, مصر والعراق, ط١, القاهرة, ١٩٧٦ .

٢٧- الصفدي- هشام, الحضارة الكنعانية الفينيقية, دمشق,١٩٧٤ .

٢٨- الصفدي- هشام, تاريخ سورية القديم, دمشق, ١٩٨١ .

٢٩- عبدالرزاق - عصام محمد السعيد : علاقة مصر بصور حتى نهاية الدولة الحثية, وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور في العصر الفينيقي حتى القرن العشرين,الجزءان :١٥-١٦ حزيران: ١٩٩٦

٣٠- علي - أحمد علي إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام القديم, رسالة ماجستير, مركز الشام للطباعة ، دمشق, ١٩٩٨ .

٣١- عثمان -عبد العزيز, معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم, دار الفكر, بيروت,١٩٦٦ .

٣٢- عصفور- محمد أبو المحاسن, المدن الفينيقية, دار النهضة العربية, بيروت, ١٩٨١ .

٣٣-- غلاب - محمد السيد, الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافية والتاريخ, دار العلم, بيروت، ١٩٦٩ .

٣٤- فخري -أحمد,دراسات في تاريخ الشرق القديم, القاهرة, ١٩٥٨ .

٣٥- فرزات - محمد حرب : موجز في تاريخ سورية القديم, المطبعة الجديدة, دمشق,١٩٨٣ .

٣٦- فرزات - محمد حرب - مرعي عيد, دول وحضارت في الشرق العربي القديم, دار طلاس, دمشق, ١٩٩٩ .

٣٧- قابلو- جباغ, تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي, منشورات جامعة دمشق, ١٩٩٠ .

٣٨- قسيس- أنطوان : ركائز السلطة الاجتماعية والاقتصادية في مملكة صور الفينيقية, وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور في العصر الفينيقي حتى القرن العشرين, ج١٥-١٦ لبنان, ١٩٩٧ .

٣٩- محمد -علي سعد الله, في تاريخ الشرق الأدنى القديم, سوريا ومصر, مركز الإسكندرية للكتاب, مصر, ٢٠٠٥ .

٤٠- مرعي - عيد, التاريخ القديم, مطبعة الاتحاد, دمشق, ١٩٩٠ .

٤١- مرعي- عيد, تاريخ سورية القديم (٣٠٠- ٣٣٣ ق.م) الهيئة العامة للكتاب, دمشق, ٢٠١٠ .

٤٢-الناضوري - رشيد, جنوبي غربي آسيا وشمال أفريقيا, بيروت, ١٩٦٨ .

٤٣- الناضوري - رشيد, أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان, الإسكندرية, ١٩٦٨ .

المراجع الأجنبية المعربة:

١- أرمان أدولف – رانكة هرمان, مصر والحياة المصرية القديمة, النهضة العربية, القاهرة ١٨٨٥ .

٢- بتري – الحياة الاجتماعية, ترجمة : حسن محمد جوهر, عبد المنعم عبد الحليم, القاهرة, ١٩٧٥ .

٣-بريستيد- جيمس هنري, تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي, ترجمة : حسن كمال, مكتبة مدبولي،القاهرة،١٩٩٠.

٤- برنهرات-كارلهاينز, لبنان القديم, ت : ميشيل كيلو, سورية,١٩٩١ .

٥-جاردنر- أ, مصر الفراعنة, ترجمة: نجيب ميخائيل إبراهيم,القاهرة, ١٩٧٣

٦- جميز 'ت . ج : الحياة أيام الفراعنة, ت : أحمد زهير أمين, الهيئة المصرية العامة للكتاب,القاهرة,بلاتا.

٧- حتي- فيليب, تاريخ لبنان, ترجمة, أنيس فريحة نقولا زيادة, بيروت,١٩٧٢.

٨- حتي- فيليب, تاريخ سورية ولبنان وفلسطين, ج ١, ت : جورج حداد, بيروت بلاتا .

٩- شيفمان – ش, مجتمع أوغاريت العلاقات الاقتصادية والبنية الاجتماعية, ت: ميخائيل إسحق,دارالأبجدية, ط ١, سورية,١٩٨٨ .

١٠- فينياتي-جوجيو, تاريخ السفن, ترجمة : أحمد الأورفلي, جنيف, ١٩٧٢ .

١١- كاسون- ليونيل, رواد البحار, ترجمة : جلال مظهر, مؤسسة فرانكلين للطباعة, نيويورك, ١٩٦٦ .

١٢- كونتنو-ج, الحضارة الفينيقية, ترجمة : محمد عبدالهادي شعيرة – الهيئة المصريةو للكتاب, مصر, ١٩٩٧ .

١٣- لوكاس- أ, المواد والصناعات عند القدماء المصريين, ترجمة : زكي الأسكندر, القاهرة,١٩٤٥ .

١٤- يويوت- جان, مصر الفرعونية, ترجمة : سعد زهران, القاهرة,١٩٦٦ .

الدوريات:

١- حامدة- أحمد, (الملك والأسرة المالكة في فينيقيا), مجلة دراسات تاريخية العددان ٤٩-٥٠ آذار – حزيران, دمشق, ١٩٩٤ .

٢- حامدة-أحمد,التجارة الكنعانية في البحرالمتوسط, مجلة دراسات تاريخية، العددان ٧٣ – ٧٤آذار-حزيران, دمشق, ٢٠٠١ .

٣- زايد- عبد الحميد, العلاقات بين مصر وبيبلوس من خلال الآثار الفرعونية, مجلة كلية الآداب بجامعة الكويت, العدد٦, ١٩٧٤ .

٤- دونان – موريس وصليبي, نسيب : البحث عن سميرا, مجلة الحوليات الأثرية السورية, المجلد السابع,الجزءان الأول والثاني , دمشق ,١٩٧٠.

المراجع الأجنبية:

1- Breasted ,J,H ,Ancient Records of Egypt, Vol 2, chrcago-1907.
2- Breasted. j.h. Ancient Times and,(NewYork),.1935.
3- Brunton.G ,and caton , thomposom , the badarain civilization , 1928
4- - Deniel .D. Luckenbill, The Annals of Sennacherib, chiogo,1924.
5- Davies, N-de.G ,and R.O.FaulKenr,A Syrian trading venture to Egypt, J.E.A.
6- Gardiner. A.H ,the kadsh in description of Ramsess, OXFord,1960.
7- Gardiner.A.H.Egyptian Grammer OXFord.1969.
8- Hall.H.R, Egypt ,and ,the External World in the time of Akhenaten, London.
9- Hayes. W.Egypt Form the Death of Ammenefes, III, to Seqenenre.1965.
10- Mellaat.S.j.the chalcolthec and Early bronze ages in near east, anatoia,Beirut,1966.
11- Moscati.s. the world of the Phoenicians, New York .
12- Mercer, S.A.B ; the tell – Amarna Tablets,vol 1, Toronto, 1939.
13- Petrie.W.M.F.Aneient Ghaza,Vol.1 London 1931.
14- strabo. A . the oxford classceal diction ary. xvid.1949.
15- steindorff .G.and . Seel, C.When Egypt ruled the east,Chigago, 1963.

16- Schaefere,materlaux pou le tude des. relations entre ugaritet,Egypt ugaritic 3,lome 8.Paris, 1956.
17- Save.T-Soderberghe.the hyksos Rule in Egypt in JEA , 1951.
18- Vide, Rose, J. H, The Mediterranean in the Ancient World, Cambridge, 1934.
19- Vide. Weill, Raymond ; Phoenicia, western Asia, London, 1940.
20- Wilson.J.h. the Culture of Ancient Egypt Chicago,1963.
21- Wilson,J,Brief Texts of the old,Kingdom,A.N.E.T.Princeton,1955.
22- Wilson.J. The Barkal stela25-,A.N.E.T
23- Wilson,J. the Egyptians and the gods of asia.A.N.E.T .

الفهرس

المقدمة:.....١

الفصل الأول:.....٣

. دراسة جغرافية لفينيقيا.....٤

. تسمية فينيقيا ٦

. جغرافية مصر ١٠

. تسمية مصر ١٢

. الطرق التجارية بين مصر وفينيقيا ١٤

. أهمية الساحل الفينيقي بالنسبة لمصر ١٨

. أهم الممالك الفينيقية ٢٢

الفصل الثاني:..... ٣٠

– تاريخ العلاقات التجارية المصرية الفينيقية منذ عصور ما قبل الاسر إلى بداية عصر الدولة المصرية الحديثة(١٥٨٠ق٠م).....٣١

الفصل الثالث:.....٤٦

– الأوضاع الدولية عند قيام الدولة المصرية الحديثة (١٥٨٠–١٠٧٨ ق م).....٤٧

– العلاقات التجارية الفينيقية في عهد الدولة المصرية الحديثة:.....٤٧

– العلاقات التجارية الفينيقية المصرية خلال عصر الأسرة الثامنة عشر:.....٥٠

– العلاقات التجارية في عهد أحمس الاول (١٥٧٥–١٥٥٠ ق.م).....٥٠

العلاقات التجارية في عهد تحوتمس الأول (١٥٢٨– ١٥١٠ ق.م).....٥١

العلاقات التجارية في عهد الملكة حتشبسوت (١٤٩٠ –١٤٦٨ ق.م).....٥٢

العلاقات التجارية في عهد تحوتمس الثالث (١٤٧٩–١٤٢٥ ق.م).....٥٣

العلاقات التجارية في عهد امنحوتب الثاني (١٤٢٧–١٤٠١ ق.م).....٥٨

العلاقات التجارية في عهد تحوتمس الرابع (١٤٠١-١٣٩١ ق.م).....٥٩

العلاقات التجارية في عهد امنحوتب الثالث (١٣٩١-١٣٦٧ق.م).....٦١

العلاقات التجارية في عهد امنحوتب الرابع (١٣٦٧-١٣٥٠ق.م).....٦٦

العلاقات التجارية الفينيقية المصرية في عهد الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨ – ١١٩٤ ق.م) ٧٥

العلاقات التجارية الفينيقية المصرية في عهد الأسرة العشرين (١١٩٤ . ١٠٧٨ق.م).....٨٠

وسائل النقل بين مصر وفينيقيا ٨٤

الفصل الرابع:.....٨٩

المواد التجارية الفينيقية ٩٠

– السلع الصناعية ١٠٢

. السفن الفينيقية ١١٠

. قوانين المعاملات التجارية البحرية ١١١

. العملات الكنعانية (الفينيقية) ١١٢

. الأساليب التجارية الفينيقية القديمة.....١١٣

الفصل الخامس:.....١١٤

– العلاقات التجارية وتأثيرها على سورية ومصر في عهد الدولة المصرية الحديثة.....١١٥

الخاتمة.....١٢٩

– **الخرائط والصور**.....١٣١

–**المختصرات** ١٤٥

–**المصادر والمراجع العربية**.....١٤٦

– **المراجع الأجنبية المعربة**.....١٥٠

–**الدوريات**.....١٥٢

– **المراجع الأجنبية**.....١٥٣

– **الفهرس**.....١٥٥